

دور عرب الحجاز في مقاومة الحملة الفرنسية على مصر

١٢١٣ - ١٢١٦ هـ / ١٧٩٨ - ١٨٠١ م

د. حسين بن محمد الغامدي
كلية الملك خالد العسكرية

مقدمة :

ظلت مصر خاضعة للحكم العثماني منذ عام ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م، ولعدة قرون تالية بعد أن كانت خاضعة لحكم المماليك، وعلى الرغم من انتهاء سلطنة المماليك إلا أن الدولة العثمانية استعانت بهم في حكم البلاد لخبرتهم بإدارتها ودرايتهم بأحوالها. وبذلك تعددت السلطات في مصر، وبمرور الوقت تمكن المماليك من استعادة سيطرتهم ونفوذهم السابق، وساعدهم على ذلك الضعف الذي دب في كيان الدولة العثمانية. وكان لذلك أثره في انهيار الأحوال السياسية وتدهور الأوضاع الاقتصادية وسوء الأحوال الاجتماعية، فقد أهمل الحكام شؤون البلاد حيث انشغل المماليك بالصراع على السلطة وانصرفوا عن الاهتمام بشؤون التجارة والصناعة والزراعة أو استقرار الأمن، إلى ابتزاز الأموال من الأهالي والأجانب وارتكبوا المظالم في حقهم مما أدى إلى حدوث الاضطرابات والفوضى وظهور المجاعات، كما أهملت شؤون الدفاع عن البلاد في الداخل والخارج وهي أمور استفاد منها الفرنسيون - الذين كانت أعينهم تراقب الموقف عن كثب - في حملتهم

على مصر التي خططوا لها منذ سنوات طويلة .

ففي منتصف المحرم ١٢١٣ هـ / آخر يونيو عام ١٧٩٨ م وصلت الحملة الفرنسية إلى مشارف الإسكندرية بقيادة نابليون بونابرت (١)، الذي اختار معظم جنوده من «جيش إيطاليا» الذي خاض به المعارك وأحرز به الانتصارات العظيمة وضم إليهم بعض كتائب من «جيش الراين» وبلغ عدد قوات الحملة ٣٦,٠٠٠ مقاتل، ووقع اختيار بونابرت على صفوة القواد الذين ظهرت كفاءتهم وخبرتهم وتجلت مواهبهم في الحروب السابقة. وجهاز الحملة بمطبعة عربية وأخرى فرنسية وثالثة يونانية، واصطحب معه طائفة من علماء فرنسا ونوابغها في العلوم والفنون كافة، الذين بلغ عددهم مئة وستاً وأربعين عضواً (٢).

وتعد الحملة الفرنسية على مصر ١٢١٣ - ١٢١٦ هـ / ١٧٩٨ م - ١٨٠١ م فاتحة لحقبة من الصراع الاستعماري بين كل من فرنسا وبريطانيا حول مصر. وكان لذلك أثره الواضح في بقية أنحاء الشرق الأدنى وبالذات الشرق العربي. وقد ارتبطت هذه الحملة - التي تمثل تجربة استعمارية كاملة في الشرق - بالموقف الأوربي وبالذات الصراع بين فرنسا وبريطانيا؛ ولذلك فقد كان من أهداف هذه الحملة بسط النفوذ الفرنسي في البحر الأحمر ومساعدة «تيبوصاحب» آخر ملوك المسلمين في الهند (٣) وقد عمل تيبو صاحب سلطان ميسور على أن يستفيد من الفرنسيين وأن يتحالف معهم وأن يستعين بجنودهم وأسلحتهم أثناء صراعه مع الإنجليز (٤).

وبعد أن تمكن بونابرت من بسط سيطرته على الإسكندرية يوم ١٨ المحرم ١٢١٣ هـ / ٢ يوليو ١٧٩٨ م، اتجه إلى القاهرة بعد أن هزمت قواته المماليك بقيادة مراد بك (٥) في شبراخيت (٦)، وعلى مقربة من الأهرام التقى الجيشان في إمبابة - التي أظهر فيها المماليك من الشجاعة ما أدهش الفرنسيين، ولكن المعركة انتهت بهزيمة جيش مراد بك في ٧ صفر ١٢١٣ هـ / ٢١ يوليو ١٧٩٨ م (٧). وقد اتجه مراد بالبقية الباقية من جيشه إلى الجيزة. أما إبراهيم بك - الذي كان يشاركه في حكم البلاد قبل مجيء الحملة - والذي كان مرابطاً بالبر الشرقي من النيل؛ فإنه غادر

القاهرة وعدد من الممالك بلغ عددهم نحو ألف وخمسة مئة، ورافقه إلى بلبس (٨) والي التركي أبوبكر باشا (٩).

أصداء الحملة الفرنسية على الدولة العثمانية والعالم الإسلامي :

أثارت أنباء استيلاء الفرنسيين على مصر غضب المسلمين في البلاد المجاورة لها، وأظهروا استعدادهم لمحاربتهم بدافع الدين، وطالبت الدولة العثمانية بالعمل على تحرير مصر من الفرنسيين (١٠)، ومن ذلك ما حدث في الحجاز حيث ذكر الشيخ عبدالرحمن الجبرتي في حوادث شهر شعبان ١٤١٣ هـ (٨ يناير - ٥ فبراير ١٧٩٩) إنه ابتداءً من شهر رجب: «فلما وردت أخبار الفرنسيين إلى الحجاز وأنهم ملكوا الديار المصرية، انزعج أهل الحجاز لذلك وضجوا بالحرم وجردوا الكعبة» (١١). . . وقد عبر الحجازيون عن رغبتهم في الجهاد وبذل الأموال والأنفس لنصرة الحق والدين.

ولعل هذا الشعور قد تزايد بعد أن شاعت بعض الأخبار بارتكاب الفرنسيين للفظائع في الإسكندرية وأنهم ذبحوا المسلمين جميعاً ودمروا المساجد واعتقلوا باقي السكان وأرسلوهم إلى مالطة في عداد الأسرى العبيد (١٢).

وقد حاول نابليون بونابرت بشتى الوسائل عدم إثارة المشاعر الدينية للمسلمين ومن هذه الوسائل التودد إلى المصريين، واستعان في ذلك بالمشور الذي نشره فور وصوله إلى الإسكندرية، ومنها مراسلاته مع بعض الحكام المسلمين المجاورين لمصر (١٣).

واتسم موقف الدولة العثمانية - في البداية - بالتردد في اتخاذ موقف إيجابي من فرنسا، أو في قطع علاقاتها بها. ولعل ذلك كان راجعاً إلى ضعفها من ناحية، ومن ناحية أخرى؛ فإنها كانت تخشى أن تكون هذه الحملة مقدمة لمخطط أوربي عام يستهدف ممتلكاتها (١٤). وقد انزعجت الحكومة التركية لقيام فرنسا وهي الدولة الصديقة باحتلال ولاية من أهم ولاياتها دون سابق إنذار أو إيضاح؛ بل إن

فرنسا حاولت تهدئة خواطر السلطات العثمانية بمحو أي أثر لذلك بادعائها أن نواياها طيبة وأنها لا تقصد أي إزعاج؛ واغتازت الحكومة التركية عندما علمت أن بونابرت يزعم في كل خطبه ومنشوراته أنه قدم إلى مصر بموافقة السلطان، وفي الوقت نفسه، فإنه يقوم بمحاصرة جميع السفن التركية في ميناء الإسكندرية (١٥) وهي أكاذيب ومحاولات خادعة لجأت إليها فرنسا لعدم إثارة المشاعر الدينية ولتجنب الصدام مع الدولة العثمانية. وانتشر الذعر في تركيا وعم الفرع كبار المسؤولين، وأظهر السكان عداً متزايداً للأجانب لاسيما الفرنسيين وبدا عليهم الاستعداد للشار، ولذا فرض الباب العالي القيود على المواطنين الفرنسيين في أنحاء الدولة كافة، وحاول تهدئة الأهالي بإصدار عدة فرمانات سلطانية باستمرار الفرنسيين كحلفاء له، وأن بونابرت قد غزا مصر من تلقاء نفسه دون موافقة حكومة الإدارة الفرنسية ومن ثم فإن أعماله العدائية يجب ألا تؤثر بحال في نيات الباب العالي الطيبة نحو الأمة الفرنسية. ويتضح من هذه فرمانات الغريبة الرغبة في حماية المقيمين الفرنسيين من إيذاء المسلمين، وكذلك فتح الباب لحكومة الإدارة لاستنكار ما فعله بونابرت ودعوة الحملة الفرنسية للعودة إلى فرنسا. ولكن موقف الدولة العثمانية تغير كلية بعد أن أفصح فرنسا عن نواياها الاستعمارية علانية بتثبيت أقدامها في مصر والاحتفاظ بمركزها فيها بكل الوسائل الممكنة وفي السيطرة على التجارة في البحر المتوسط. وتحول هذا الموقف إلى عداً مع فرنسا بعد انتصار نلسون قائد الأسطول الإنجليزي على الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير البحرية في ١٨ صفر ١٢١٣هـ / أول أغسطس ١٧٩٨م، حيث شددت روسيا وبريطانيا على تركيا لإعلان الحرب على فرنسا (١٦). وكان رد فعل بريطانيا سريعاً تجاه الحملة الفرنسية، حيث عقدت لأول مرة معاهدة تحالف مع الدولة العثمانية وروسيا في شعبان ١٢١٣هـ / يناير ١٧٩٩م كان المقصود منها طرد الفرنسيين وتغير موقف السياسة البريطانية من الدولة العثمانية (١٧). وقد ذكر نابليون بونابرت في مذكراته أن هزيمتهم في هذه الموقعة كان لها أثر كبير ليس في شئون مصر فقط؛ بل

في شئون العالم أجمع (١٨).

وهكذا كان لهذه الواقعة البحرية أثر كبير في فقد جيش نابليون بونابرت لسند قوي لتحقيق أهدافه، وفي عدم إنجازه لخطته في تهديد المصالح البريطانية؛ بل وفي عدم استقراره بمصر، وفي سرعة جلاء الحملة الفرنسية عنها.

وكان إعلان السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧ م) الحرب على فرنسا (١٩) بمثابة إعلان الجهاد الديني ضد الفرنسيين. والجهاد في الفقه الإسلامي هو فرض عين على كل مسلم بالغ قادر على حمل السلاح، واستجاب لهذه الدعوة العرب في الحجاز والشام وشمال أفريقيا، وهو خير مثال على الترابط الديني بين سكان الولايات العربية إبان الحكم العثماني (٢٠) ولم يكتف السلطان بذلك، بل شهدت العاصمة العثمانية إستانبول نشاطاً دبلوماسياً كبيراً، فقد تم إرسال خطابات إلى كل من الشريف غالب شريف مكة والإمام المنصور علي إمام اليمن بضرورة التعاون مع قوات روسيا وبريطانيا لأنهما حليفتان للسلطان (٢١). كما ضبط في مصر فرمان سلطاني بكتابات من أحمد باشا الجزائر والي عكا وإبراهيم بك وغيرهما للحض على الجهاد، حيث ضبطت هذه المنشورات في مصر في شهر جمادى الأولى ١٢١٣ هـ/ أكتوبر ١٧٩٨ م (٢٢) وكافح بونابرت للتقليل من شأن ذلك فكان يقوم باستكتاب المشايخ للمنشورات لتهدة الثوار وإخماد الفتنة ومطالبة الأهالي بأداء ما عليهم من خراج، ومنشورات أخرى لتبرئة الفرنسيين مما جاء بحقهم في فرمان السلطاني. وكان يتم إلصاق هذه المنشورات في الشوارع، كما يتم إرسال نسخ منها إلى السلطان العثماني وإلى شريف مكة (٢٣).

محاولات نابليون بونابرت استمالة المماليك وحكام الدول الإسلامية:

جاء في منشور نابليون بونابرت الذي وجهه إلى المصريين عند قدومه إلى مصر، أن المماليك هم السبب فيما لحق بهم وبالبلاد من المظالم والمفاسد وأنه جاء للقضاء على دولتهم (٢٤)، إلا أنه بدلاً من المضي في تطبيق ما أعلنه، مضى في

طريق مختلف تماماً وهو محاولة التراضي معهم برغم انتصاره عليهم في موقعة إمبابية. ففي ١٨ صفر ١٢١٣هـ / أول أغسطس ١٧٩٨م خول بونايرت كارلوروزيتي القنصل العام للنمسا وروسيا بالقاهرة كامل السلطة في أن يفاوض مراد بك ويعرض عليه حكم إقليم جرجا (٢٥). وكان جواب مراد بك على هذا هو استعدادده لدفع ١٠,٠٠٠ كيس (٢٦) على أن يعود بونايرت بجيشه إلى بلاده حقناً لدماء جنوده. ثم عرض بونايرت على إبراهيم بك في ١٢ أغسطس عروضا مماثلة، فلم يتنازل بالجواب، ولعل هذا الرد المتغطرس من جانب مراد بك والتجاهل من جانب إبراهيم بك يكون قد جاء بعد أن غما إلى علمهم نبأ هزيمة الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير البحرية وأصبحا يعتقدان أن مسألة طرد الفرنسيين من مصر ما هي إلا مسألة وقت.

وقام نابليون بونايرت بإيفاد المبعوثين وبالكثابة إلى أمراء المسلمين وحكامهم في الأقطار المجاورة لمصر التي كانت ولا تزال تحت لواء الخلافة العثمانية في محاولة منه لتهدئة خواطرهم وإظهار نياته ورغبته الصادقة في إحياء قوة الإسلام وما يمكنه من محبة للمسلمين وابتعاده عن كل ما يؤذيهم في عقائدهم، ولإيجاد نوع من الاتصال فيما بينه وبينهم، فقد بعث برسائل إلى حاكم درنه (٢٧) بطرابلس وحاكم طرابلس يطلب عقد أواصر المحبة معهما، كما كتب إلى إمام مسقط وطلب منه أن يكتب بدوره إلى تيبو صاحب بالهند، ثم كتب هو مباشرة إليه وإلى عبدالرحمن الرشيد سلطان دارفور (٢٨) وإلى شريف مكة وإلى إمام اليمن وطلب من الأخيرين ربط موانئ جدة ومخا والقصير والسويس ببعضها لتنشيط حركة التجارة فيها (٢٩).

واستكتب أعضاء ديوان القاهرة رسالة إلى شريف مكة في ٢٠ ربيع أول ١٢١٣هـ / أول سبتمبر ١٧٩٨م، لإيضاح الجهود التي بذلها بونايرت لتأمين طريق الحج والثناء على سياسته ومدى اهتمامه بأعياد المصريين وبخاصة الأعياد الإسلامية واشترائه في الاحتفالات والمهرجانات التي تقام في هذه الأعياد (٣٠). كما حاول

الاتصال بأحمد باشا الجزائر والي عكا بالشام . وفيما عدا رد شريف مكة - الذي كان يعتمد في دخله على قوافل الحجاج القادمة من مصر وعلى صادرات البن إليها فإن بونابرت لم يظفر بأي رد آخر ؛ بل لقد أثار عرضه لوالي عكا بإقامة علاقات تجارية بينهما استياءه وغضبه (٣١). وكانت عبارات الشريف المطمئنة ذاتها تنطوي على الخديعة، فقد أدرك الحكام المسلمون الخديعة التي يحاول نابليون بونابرت أن يصل بها إليهم بادعائه الصداقة للسلطان والإسلام، وبخاصة بعد أن علموا نبأ إعلان السلطان الحرب على الفرنسيين (٣٢). وهكذا؛ فإن هذه المحاولات التي باءت معظمها بالفشل كانت تهدف إلى تهدئة خواطر المسلمين والدول الإسلامية المجاورة لمصر والعمل على عدم إثارة المشاعر الدينية للمسلمين في هذه البلاد لمنع قيامهم بمساعدة المصريين في الوقوف في وجه الفرنسيين .

الحالة في مصر بعد الحملة :

قرر نابليون بونابرت أن يستكمل السيطرة على أقاليم مصر بعد سيطرته على الإسكندرية والقاهرة، وذلك لضمان الحصول على الأموال اللازمة لنفقات الحملة ولإحكام السيطرة عليها وتوفير الاستقرار بها وللقضاء على الثورات التي يقوم بها المصريين، ولوضع النظم الكفيلة بحسن الإدارة والتنظيم . ومن ثم فقد قام بتعيين كبار الضباط لإدارة هذه الأقاليم (٣٣). وجعل مع حكام الأقاليم قوة عسكرية لفتح البلاد ووضع النظام الذي خصص لها، وأصدر إليهم تعليماته بتجريد الأهالي من السلاح وجمع الخيول اللازمة لفرسانه، وإنشاء الأفران وإقامة المستشفيات والاستيلاء على ممتلكات الممالك، واستعمال الشدة مع الأهالي إذا اقتضى الأمر (٣٤).

وقد أولى نابليون بونابرت أمر الصعيد الكثير من الأهمية، فقد قام بتعيين الجنرال ديزيه (٣٥) Desaix لإدارته (٣٦) وهو أحد القادة الذين ظهرت كفاءتهم ومقدرتهم وتجلت مواهبهم في الحروب السابقة، والذين وقع اختياره عليهم لقيادة

جنوده في حملته على مصر ، ويرجع هذا الاهتمام إلى عزمه على القضاء على قوات مراد بك الذي اتجه بفلول جيشه إلى الصعيد ليكون بعيداً عن هجمات نابليون بونابرت فقد استقر بناحية البهنسا (٣٧) ولحق به المماليك الذين لم يرضوا أن يتبعوا إبراهيم بك في فراره نحو الشام (٣٨). حيث حضر إليه خصومه حسن بك الجداوي وعثمان بك حسن ممالك علي بك الكبير ، وتناسوا ما بينهم من خلافات واتفقوا على الاستعداد لمواجهة الفرنسيين (٣٩) كما التف حوله عدد من العربان . واتخذ مراد بك من البهنسا مقراً لجيشه ، وكانت معه بقية من السفن الحربية التي سلمت من الحريق في موقعة إمبابة (٤٠) .

ولما كان بونابرت يعمل على إضعاف قوة المماليك فقد توجه ومعه جزء من جيشه إلى بلبيس لمواجهة إبراهيم بك والوالي العثماني أبوبكر باشا ، وتابع إبراهيم بك إلى الصالحية (٤١) ، وتحقق لقواته النصر عليهم مما أجبر إبراهيم بك ومن معه إلى التوجه إلى غزة ، وعاد بونابرت إلى القاهرة ، واستمر إبراهيم بك يحاول تحرير الأقاليم المصرية ويحرض المصريين على الثورة ضد الفرنسيين (٤٢) ، ومع أن مراد بك قاوم الفرنسيين إلا أنه لم يقاومهم مقاومة جدية فكان ما لقيه الفرنسيون من مقاومة معظمه من الأهالي الذين شدوا أزر المماليك في مقاومتهم (٤٣) ، وكان لهذا التأييد دوره في إذكاء روح المقاومة واستمرارها لمدة طويلة .

الوضع في الحجاز :

كان الأشراف يتولون حكم الحجاز باسم السلطان المملوكي في مصر ، حيث إنهم كانوا يربطون أنفسهم بالدولة الأقوى في العالم الإسلامي وبخاصة في مصر ، وذلك بسبب الحماية والعون المادي اللذين كانت مصر توفرهما للحجاز ، ولم تكن السيادة المملوكية على الحجاز تمثل حكماً مباشراً ، لأن الحكم في الحجاز كان يقوم على نظام الشرافة وهو منصب يتولاه أشراف مكة - الذين ينتسبون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم - وتتنازع حول هذا المنصب الأسر الشريفة ، ولم يكن

السلطان المملوكي يتدخل في تعيين الشريف بل يختاره كبار الأشراف من بينهم في الحجاز ويطلبون إلى سلطان مصر تثبيته ، وكان الشريف يعمل على تأمين قوافل الحج الوافدة من بقاع العالم الإسلامى المختلفة اعتماداً على علاقاته بقبائل العربان القاطنة على طول طرق القوافل (٤٤) .

وعندما دخل السلطان العثماني سليم الأول مصر في مطلع عام ١٥١٧م ، قام الشريف بركات بالاعتراف بالسيادة العثمانية ؛ لأنه رأى من الحكمة الاستجابة لذلك ، ولأنه كان يواجه الخطر البرتغالي في البحر الأحمر ، كما أنه كان في حاجة إلى مساعدة دولة إسلامية كبيرة ، هذا فضلاً عن أن الحجاز يجب أن يكون مسالماً مع الدولة الحاكمة في مصر ليستفيد من الأوقاف المحبوسة على الحرمين الشريفين وفقراء مكة والمدينة ، كما أن دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية لن يغير نظام الحكم في الحجاز ، وإنما قد يؤدي إلى تقوية مركز الشريف بركات أمام خصومه ، وبذلك دخل الحجاز سلمياً في نطاق السيادة العثمانية (٤٥) .

ومن ثم فقد سارع السلطان إلى إقرار الشريف في منصبه ، وحصل السلطان على لقب خادم الحرمين الشريفين ، وظلت المصالح المتبادلة هي التي تحكم العلاقة بينهما دون أن يفكر أي منهما في تغييرها ، ويتضح بذلك سلوك وموقف الشريف غالب الذي كان يدرك مدى ضعفه السياسي بين باقي المنافسين من الأشراف ، ولذلك فإنه كان يقوم بدوره في تنفيذ مخططات الدولة العثمانية ويقوم بدور الوساطة بينها وبين الحكام العرب والمسلمين القرييين ، وكذلك فعل مع إمام اليمن . ولما كان الشريف غالب يلمس أيضاً مدى ضعف الدولة العثمانية وعجزها عن حماية ولاياتها ، ويخشى أن تمتد يد نابليون إلى بلاده لذلك سارع بالكتابة إليه ومداهنته حتى يأمن جانبه ويطلب منه العناية بتجارته (٤٦) .

وعلى الرغم من ذلك فقد كان شعور الشريف غالب تجاه الوقوف في وجه الفرنسيين وعدم تمكينهم من البلاد الإسلامية شعوراً قوياً ، وهو شعور ديني يتضح بجلاء في نصوص خطاباته إلى إمام اليمن المنصور علي ، حيث حذره

الشريف من السماح لبريطانيا بالحصول على قطعة أرض على السواحل اليمنية لإقامة قاعدة لها في باب المندب، وذلك أبان الأزمة الإنجليزية - الفرنسية كما أشيع وقتئذ (٤٧).

عزم نابليون بونابرت على احتلال الصعيد:

كان بقاء مراد بك ببلاد الصعيد لا يريحها أمراً لا يطيقه الفرنسيون حتى وإن لم ينشأ عنه تهديد مباشر لتملكهم القاهرة والدلتا، فبمجرد وجوده حرّاً طليقاً يجعل سكان الأقاليم المحتلة ينتظرون عودته ويتحمسون له ويستجيبيون لدعوته بمقاومة الفرنسيين، ومن ثم فإنهم سيصانعون الفرنسيين إلى حين عودته، ونظراً لأن الفرنسيين كانوا في حاجة إلى الأموال فإنه كان من الضروري طرد مراد بك من بلاد الصعيد قبل أن يقوم هو بجمع الضرائب من الأهالي (٤٨). هذا فضلاً عن أن بقاء قوة معادية في الصعيد يهدد سلطة القاهرة والدلتا وجنود الحملة بحدوث مجاعة، وكانت الملاحة في النيل قد تعطلت في الشهور الأولى من احتلال القاهرة، وحبس مراد بك في الوجه القبلي السفن المحملة غللاً إلى القاهرة، ولهذه الأسباب مجتمعة، قرر نابليون بونابرت احتلال الصعيد والقضاء على قوة مراد بك وبخاصة بعد أن رفض الأخير عرض بونابرت حكم مديرية جرجا وما يليها إلى الشلال، وفي الوقت نفسه، فإن احتلاله للصعيد سيمكنه من إخضاع الأهالي الثائرين في تلك المنطقة (٤٩).

أصدر نابليون بونابرت أمراً إلى الجنرال ديزيه بالتوجه إلى الصعيد لمقاتلة قوات مراد بك بقوة مؤلفة من خمسة آلاف من المشاة والفرسان والمدفعية والمهندسين مزودين بالأسلحة والذخائر والمدافع الحديثة والسفن الحربية (٥٠)، وقد تحركت قوات ديزيه عندما بلغ فيضان النيل حداً مناسباً، وكانت مهمته عسيرة شاقة نظراً لطبيعة الأرض في الصعيد، وصعوبة المواصلات وبعد المسافات (٥١). وهكذا؛ فإنه يمكن القول إن حملة ديزيه ليست مطاردة لمراد بك فحسب،

ولكنها كانت أيضاً سباقاً بين جامعي الضرائب المتنافسين ووصل الأمر إلى إكراه الفلاحين في بلاد الصعيد على دفع المستحق عليهم مرتين .

حاول ديزيه تعقب مراد بك في عدة أماكن ، حيث وصل إلى البهنسا ومن ثم اتجه مراد بك إلى الفيوم (٥٢) حيث يقيم محمد بك الألفي (٥٣) وبعض المماليك في اللاهون (٥٤) ، ثم اتجه إلى أسيوط (٥٥) . وعندما وصلها ديزيه في ٣ ربيع الثاني ١٢١٣ هـ / ١٤ سبتمبر ١٧٩٨ م كان مراد بك قد سبقه إلى جرجا ولكن ديزيه رأى أنه من الصواب عدم تعقبه مخافة أن يتعد عن جنوده (٥٦) . وقد اغتنم مراد بك الفرصة لتقوية صفوفه في الفيوم حيث انضم إليه العديد من الأهالي . وقد وقعت بعض الاشتباكات والأحداث بين الطرفين كان أهمها موقعة سدمنت (٥٧) وهي بلدة صغيرة واقعة على بحر يوسف في جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / أكتوبر ١٧٩٨ م التي شهدت قتالاً شرساً بين قوات مراد بك وقوات ديزيه وخسر مراد المعركة . ونظراً لسوء حالة الجنود الفرنسيين فقد منح بونايرت ديزيه فترة للراحة وأمره بتنظيم الفيوم ، وتوجه ديزيه إلى القاهرة ليستوثق من الحصول على مطالبه من الإمدادات (٥٨) .

وعاد ديزيه مزوداً بإمدادات بلغت ١٢٠٠ فارس بقيادة الجنرال دافو Davout و٣٠٠ من المشاة وستة مدافع وستة قوارب حربية مجهزة بالسلاح والمتاريس (٥٩) فضلاً عن الذخائر ، وكان من بين هذه الإمدادات السفينة " إيطاليا " سفينة نابليون الخاصة التي كان يركبها في النيل . ومن ثم فقد عقد العزم على أن يكتسح الصعيد بقواته التي سارت متعقبة قوات مراد بك إلى بني سويف (٦٠) يوم أول رجب ١٢١٣ هـ / ٩ ديسمبر ١٧٩٨ م ، ثم غادرها يوم ٨ رجب ١٢١٣ هـ / ١٦ ديسمبر ١٧٩٨ م . وقد قام باحتلال أسيوط يوم ١٧ رجب / ٢٥ ديسمبر من العام نفسه ، ووصل جرجا يوم ٢١ رجب / ٢٩ ديسمبر ، وكان أسطول مراد بك قد غادرها قبل وصوله إليها وتمكن ديزيه من القضاء على ثورة واسعة النطاق شملت نحو أربعين بلداً فيما بين أسيوط وجرجا قام بها نحو سبعة آلاف من الأهالي ، ثم

وقعت معارك أخرى بين الفرنسيين والثوار في سوهاج (٦١) في ٢٦ رجب ١٢١٣هـ / ٣ يناير ١٧٩٩م وفي طهطا (٦٢) في غرة شعبان ١٢١٣هـ / ٨ يناير ١٧٩٩م (٦٣).

استنجد مراد بك بالعرب والمسلمين وأشراف الحجاز:

بعد أن وصلت الإمدادات العسكرية إلى قوات ديزيه بالصعيد، كان على مراد بك أن يعمل على تجميع المزيد من القوات لمواجهة هذا العدو سواء أكانوا من المماليك أو من الأهالي أو من العربان من داخل البلاد أو الاستعانة بالمسلمين المجاهدين من خارجها. وقد انتهز فرصة الثورة والهيّاج في معظم بلاد الصعيد والذي تجاوبت أصداؤه في البلاد الإسلامية المجاورة، وأرسل في طلب النجدة من أشراف مكة وعرب ينبع (٦٤) وجدة (٦٥)، وأنفذ رسله أيضاً إلى النوبة في جنوب مصر لاستنفار المسلمين للجهاد ضد الفرنسيين (٦٦)، كما أرسل إلى زعماء القبائل في شبه الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر (٦٧).

ورغم ما كان بينه وبين حسن بك الجداوي من خصومات، فقد أرسل إليه في إسنا يعرض عليه الصلح، وقد لبى حسن بك الدعوة حيث انضم إليه ومعه ثلاثة آلاف مقاتل ومثتين وخمسين من المماليك. وكان لحسن بك نفوذ عظيم في جنوب الصعيد فأثرت أخبار صلحه مع مراد بك تأثيراً عظيماً، فقد وصل ألفان من ينبع إلى الصعيد يقودهم الشريف حسن، ثم وصلت الأنباء إلى ديزيه أن ألفين آخرين قد تجمعوا في ينبع ينتظرون وصول السفن لتحملهم وتجتاز بهم البحر الأحمر (٦٨).

وفي محاولة من الفرنسيين لمنع الإمدادات لمراد بك من القبائل البدوية في مصر وبخاصة في الصعيد، فقد كلف الملازم ديفرنوا Desvernois للقيام بهذه المهمة الدبلوماسية الحساسة لكي يصبحوا حلفاء للفرنسيين، حيث غادر القاهرة يرافقه حرساً من فارسين وشيخ بدوي وابنه واتجه إلى الصحراء وزار ثلاثاً وعشرين قبيلة في تسعة عشر يوماً. وقد كوفئ ديفرنوا على خدماته حيث رقى إلى رتبة الكابتن

في ١١ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ / ٢١ نوفمبر ١٧٩٨ م ، وبعد أسبوعين ألحق هو وألف من الفرسان بفرقة الجنرال ديزيه . وكان بونابرت قد أرسل في ٨ نوفمبر بكتيبة بقيادة الجنرال بليار Belliard ليعزز بها قوات ديزيه . هذا فضلاً عن قطع المدفعية الخفيفة والمؤن بأنواعها كافة ، وألحق بقواته أيضاً أسطولاً نهرياً بقيادة الكابتن جيشار وبرفته المعلم يعقوب القبطي الذي كان من الناحية الرسمية منوطاً بجمع الضرائب في جنوب الصعيد ، ولكنه كان في الواقع شريكاً لديزيه في حملته ، حيث أصبح مستشاراً للحملة الموجهة ضد مراد بك - الذي كان يعرفه عن كثب - حتى أن أهل الصعيد يسمون فرقة ديزيه " جيش المعلم يعقوب " ، وكان ديزيه يستشير المعلم يعقوب قبل اتخاذ أي قرار (٦٩) .

استجابة عرب الحجاز وشمال أفريقيا :

ذكر الشيخ عبدالرحمن الجبرتي وهو أحد المؤرخين المعاصرين لأحداث الحملة الفرنسية على مصر ، أنه لما وردت الأخبار إلى الحجاز بدخول الفرنسيين إلى مصر واستيلائهم على الإسكندرية والقاهرة قام رجل مغربي يدعى الشيخ محمد الكيلاني (٧٠) كان مجاوراً بمكة والمدينة والطائف يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد ويحرضهم على نصره الحق والدين ، وقرأ بالحرم كتاباً مؤلفاً في معنى ذلك ، فاتعظ جملة من الناس واستجابوا لدعوته وقاموا ببذل أنفسهم وأموالهم واجتمع نحو الست مئة من المجاهدين وركبوا البحر إلى القصير (٧١) مع ما انضم إليهم من أهل ينبع وغيرهم (٧٢) .

وأضاف مؤرخ آخر معاصر لتلك الأحداث هو المؤرخ اليمني لطف الله جحاف (١١٨٩-١٢٤٣هـ / ١٧٧٥ - ١٨٢٨ م) أن الناس عندما تسامعوا أخبار اعتداء الفرنسيين على مصر ودعوة محمد المغربي الجيلاني الهاشمي للتطوع ، وردوا إليه وبذلوا أنفسهم وأيديهم بين يديه ، وأن النساء كانت تأتي فتسمع ما يمليه من أحاديث الحض على الجهاد ويقدمن إليه الحلي والملابس وأنه اجتمع لديه أموال

كثيرة، كما قدم إليه المتطوعون من البلاد الشاسعة فسار بهم لمناهضة الفرنسيين (٧٣).

وذكر لطف الله جحاف أسماء الذين قدموا التبرعات من كبار التجار بالحجاز وغيرهم والمتمثلة في السفن لحمل المؤن والمتطوعين والأسلحة كالبنادق الصغيرة والحراب والسيوف والمؤن كالأرز والحبوب والمهمات، وهم: محمد باصلاح الحضرمي (٧٤) والشيخ عبدالرحمن العسيري والشيخ أحمد فادل والشريف غالب ابن مساعد ومحمد أبو العسل وهو من أهالي ينبع التي قدم أهلها بعض التبرعات الأخرى. وقد سير الشيخ محمد هذه السفن تحمل المتطوعين من ميناء جدة الذين بلغوا أربعة آلاف مقاتل ثم اتجه إلى المدينة المنورة. وقد أجابه أهل رابغ (٧٥) والخليص (٧٦) إلى دعوته وبذلوا له أموالاً كثيرة وسار إلى بدر (٧٧) فقدموا له المساعدة وخرج منهم بعض المتطوعين. وكان للشيخ محمد الكيلاني وكلاء يتولون جمع الأموال معه، ثم نزل بالصفرا (٧٨) فوعظ بها ودعا إلى الجهاد فقدموا إليه أموالاً كثيرة. وقد ذكر له بعض العوام أنهم زيدية أي أتباع مذهب الزيدية نسبة إلى الإمام زيد بن علي (٦٩٩ / ٧٠٠ - ٧٤٠ م) فقال لهم قد زادهم الله عليكم فضلاً؛ فإني قد وجدتهم يدفعون أموالهم في سبيل الله وقبضها منهم. ثم سار الشيخ محمد الكيلاني إلى المدينة فتسلم من أهلها أموالاً جزیلة وخرج منهم ثلاث مئة متطوع، فنزل بالجميع إلى ينبع وبلغته الأنباء أن هناك متطوعين من مكة قد توجهوا إلى مصر برئاسة حسن الكيلاني وابن أخته السيد طاهر أخو السيد محمد الكيلاني (٧٩).

ويتضح من ذلك أن قوات حسن الكيلاني كانت قد سبقت القوات التي قدمت مع الشيخ محمد الكيلاني، وبذلك فإن المتطوعين الذين قدموا من أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية لم تكن على دفعة واحدة؛ بل كانت على دفعتين، كما تدل هذه الاستجابة والاستعداد للتطوع في مقاومة الفرنسيين والمشاركة بالجهاد والمال والنفس على مدى الترابط العربي والإسلامي وهو رباط ديني يرتبط بالجهاد في

سبيل الله، ومن أجل نصرة الحق والذود عن ديار المسلمين ضد الخطر والعدو الأجنبي مما يظهر أن العاطفة الدينية كانت من أقوى الروابط بين المسلمين في تلك الفترة.

ولم تقتصر هذه الاستجابة على عرب الحجاز فقط، فقد جاء إلى مصر رجل من مدينة درنة بطرابلس الغرب لقب نفسه بالمهدي ودعا إلى قتال الفرنسيين، فأقبل عليه الناس بأعداد كبيرة وضم إليه رجال القبائل من أولاد علي والهنادي وغيرهم. كما انضم إليه سكان القرى التي مر بها. وسار بهم جميعاً إلى دمنهور في أبريل عام ١٧٩٩ م، حيث قام بإبادة الحامية العسكرية التي كانت تعسكر فيها. وقد تزايد المتطوعون في صفوفه حتى بلغ عددهم خمسة عشر ألف مقاتل والتقى بالقوات الفرنسية في سنورس (٨٠) وانتهت المعركة الفاصلة بفوز المهدي (٨١) وارتداد الفرنسيين إلى الرحمانية (٨٢).

وقد وصف أحد المؤرخين الأمريكيين عرب الحجاز بأنهم أُرهب إمداد لمراد بك، وذكر أنهم زعموا بأنهم من سلالة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأنهم كانوا يلبسون العمام الخضراء، ويحملون البنادق والسيوف والرماح والخناجر، وفي خلفهم صلابة تنطق بها وجوههم. وقد تبين أنه كان من بينهم عدد من الحجاج المغاربة الذين انضموا إلى عرب الحجاز في الطريق إلى مصر ولكن أكثرهم وأشدّهم تعصباً كانوا عرباً خلص من شبه الجزيرة وجاء انضمامهم إلى مراد بك على الرغم من أن شريف مكة لم يشجعهم على ذلك ولكنه لم يثنتهم عن الانضمام إليه (٨٣)، وقد أطلق الفرنسيون عليهم (المكيين) أو (أشراف مكة) (٨٤) ونعتهم نابليون بوناپرت بأوصاف غير لائقة (٨٥).

المعارك التي شارك فيها عرب الحجاز:

معركة سمهود (٨٦)

كان الجيش الفرنسي في الصعيد بقيادة ديزيه يتألف من خمسة آلاف من المشاة

والفرسان وأربعة عشر مدفعاً وأسطولاً نيلياً صغيراً (٨٧). أما قوات مراد بك فقد تكونت من ألف وخمسمئة مملوك وعدد كبير من الأهالي الذين انضموا إليه من جميع البلاد بالصعيد، وطبقاً لما ذكره نابليون بونابرت في مذكراته فقد كان عددهم سبعة آلاف من الفرسان المصريين وثلاثة آلاف من المشاة وألفين من عرب الحجاز بقيادة (الشريف حسن) (٨٨) أي إن جيشه بلغ اثني عشر ألف مقاتل (٨٩).

وعندما علم ديزيه بأن مراد بك يربط بقواته في سمهود الواقعة على ترعة بهجورة، انتقل إليها بجيشه المزود بالمدفعية والأسلحة الحديثة، وكانت القناة تفصل بينهما ولكنها كانت جافة لا ماء فيها، وفي يوم ٢٢ يناير ١٧٩٩م التقت فصيلة الهوسامر السابعة بقيادة القومندان دوبلسي بجيش مراد بك قريباً من أسوار سمهود، ثم أعقب ذلك وصول الجنرال ديزيه إلى ميدان القتال. وقد استعد ديزيه لهذه المعركة استعداداً عظيماً ليضمن لجيشه الفوز فيها (٩٠) فألف من المشاة مربعين متساويين وضع أحدهما على الميمنة بقيادة الجنرال فريان Friant، والثاني على الميسرة بقيادة الجنرال بليار Belliard، ومن فرقة الفرسان بقيادة دافو Davout مربعاً ثالثاً جعله في القلب وليكونوا في حمى المشاة، أما المدفعية ففي الجناحين. وهذا الترتيب أو التكتيك الحربي يمثل نظام جيش بونابرت وطريقة هجومه في معاركه، وبهذا الترتيب قاتل الجيش الفرنسي قوات مراد بك التي كانت أكثر عدداً ولكن ينقصها النظام والمدفعية ومقدرة القيادة (٩١).

وقد بادرت قوات مراد بك المؤلفة من المماليك والمصريين وعرب الحجاز بالتقدم نحو مربعات العدو كلها بدون خوف، وأحاط الفرسان المسلمون بالقوة الفرنسية، وألقت جماعة من المشاة من عرب الحجاز بأنفسها في القناة وبدأت تطلق النار بشدة فأصاب ميسرة الفرنسيين بخسائر فادحة وعلى الفور كلف ديزيه أركان حربه " راب " و " سافاري " وتبعهما عدد من فرسان الفرقة السابعة من الهوسامر بالهجوم على العرب وأمر فرقة حملة القرايينات (٩٢) (البنادق) الحادية والعشرين بقيادة الكابتن " كليمانت " بالتقدم على شكل طابور إلى القناة لمحاصرة القوات

التي تقاتل منها فنفذ ذلك بكفاءة، مما اضطر معه العرب إلى الفرار مخلفين وراءهم خمسة عشر قتيلاً وعدداً كبيراً من الجرحى بينما أصيب فرنسي واحد بطعنة خنجر عندما أراد أن ينتزع علماً من أيدي الأعراب. وبذلك سقطت سمهود في أيدي الفرنسيين (٩٣)، ويمكن إرجاع انتصارهم في هذه المعركة إلى التنظيم الجيد والمدفعية الحديثة وإلى كفاءة القيادة (٩٤).

وعلى الرغم من نتيجة معركة سمهود؛ فإن قوات مراد بك لم يصبها اليأس، ففي محاولة مستمته لاستعادة سمهود تقدمت بعض جماعات من المماليك صائحة صياحاً مدوياً يعاونهم عرب الحجاز، ولكن فرقة حملة البنادق تصدت لهم بشدة واضطرتهم إلى التقهقر على المربع الأيمن الذي كان يقوده الجنرال فريان، على حين قامت فرقة من المشاة بمضايقة المربع الأيسر بقيادة الجنرال بليار، ولكن المدفعية الفرنسية أطلقت نيرانها الحامية على المهاجمين فلم يتمكنوا من تحقيق هدفهم وقضت على جهودهم التي لم تنجح في استعادة سمهود مما اضطرهم إلى التخلي عن مواقعهم أمام نيران المدفعية الفرنسية، وقد خسروا في هذه المعركة عدداً كبيراً من القتلى والجرحى (٩٥)، حيث خسر مراد بك نحو مئة قتيل منهم عشرون من الفرسان وكثير من الجرحى، بينما خسر الفرنسيون ثلاثة قتلى وثمانية جرحى من بينهم الضابط راب Rabb (٩٦) والضابط ديفرنوا Desvernois الذي كان مع فصيلة من فصائل الطليعة أمام المربعين (٩٧).

تابعت قوات ديزيه مطاردة قوات مراد بك التي كانت تختفي ثم تعود للظهور مرة أخرى (٩٨) حتى فرشوط (٩٩)، وتوقف ديزيه بها قليلاً لإراحة قواته ثم غادرها ماراً ببعض البلاد حتى وصل إلى إسنا (١٠٠) في يوم ١٩ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢٦ يناير ١٧٩٩ م (١٠١). وكان المماليك يقوون بحرق كل ما معهم من الخيام والمعدات وهم في طريقهم وتفرقت جموعهم. وقد اتجه مراد بك وحسن بك إلى بلاد النوبة، وتمكن ديزيه من احتلال إسنا وقام بإنشاء الاستحكامات وبناء المخازن والأفران لصنع الخبز اللازم للجنود وإقامة مستشفى لعلاج الجرحى. وظل الجنرال

فريان في إسنا مع فرقته لمراقبة الألفي وقائد عرب الحجاز (١٠٢)، واجتاز الجيش مدينة إدفو (١٠٣) يوم ٢٢ شعبان ١٢١٣هـ / ٢٩ يناير ١٧٩٩م (١٠٤).

وفي الثالث من رمضان من العام نفسه الموافق الثامن من فبراير عسكر الجيش في أسوان (١٠٥) على الضفة اليمنى للنيل وبقي المماليك على الضفة اليسرى وان استمرت المناورات الحربية على الضفة اليمنى التي يمكن الوصول منها إلى سواحل البحر الأحمر. وقد قامت فصيلة فرنسية بالاستيلاء على نحو خمسين قارباً محملة بممتلكات المماليك اضطروا إلى تركها عند جزيرة أنس الوجود، وتم إنشاء معسكرات للجنود في البلاد الواقعة من أسوان إلى جرجا تنفيذاً لأوامر ديزيه الذي أمر الجنرال بليار بأن يعسكر في أسوان مع فصيلة من المشاة وعاد إلى أسوان بفرسانه، حيث قسمهم ما بين الضفة اليمنى والضفة اليسرى حتى وصل إلى إسنا يوم ٤ رمضان ١٢١٣هـ / ٩ فبراير ١٧٩٩م (١٠٦). وفي ٦ رمضان ١٢١٣هـ / ١١ فبراير وقعت معركة الردسية وهي بلدة واقعة بالبر الشرقي للنيل جنوبي إدفو بين الأهالي وفرسان المماليك بقيادة حسن بك الجداوي وعثمان بك من ناحية وبين فرسان الجنرال دافو من ناحية أخرى. وكانت معركة شديدة استعمل فيها السلاح الأبيض وكانت خسائر الطرفين كبيرة، وعلى إثرها اتجه حسن بك برجاله ومئنته إلى الصحراء في طريق القصير (١٠٧).

وعلى الرغم من الانتصار الذي حققه جيش ديزيه على المماليك والعرب في سمهود إلا أنه لم يتمكن من تحقيق السيطرة الكاملة على أقاليم الوجه القبلي، وكان دائم التحرك لمتابعة قوات حسن بك وكذلك قوات مراد بك التي فلتت من التطويق وتمكنت من الانسحاب إلى ما وراء الشلال دون أن يتمكن منها الفرنسيون مما أضاف عبئاً على القوات الفرنسية في أعمال المطاردة والترقب وإقامة المعسكرات والاستحكامات وعدم استطاعتهم فرض الأمن والسكينة في أنحاء الصعيد.

وقد اضطّر الشريف حسن إلى ترك بلاد النوبة مصطحباً معه أفراد أسرته وأمتعته وذلك لإخلاء المكان لمراد بك ولصعوبة الحياة بها قاصداً الضفة اليمنى للنيل

حيث يوجد أعداؤه وممتلكاته، ولكن الجنرال دافو عبر النيل بقواته وفاجأه يوم ٧ رمضان ١٢١٣هـ / ١٢ فبراير ١٧٩٩م فاتجه الشريف حسن بقواته إلى الصحراء بعد ما تبين له أنه لا يستطيع أن يعسكر في الوادي (١٠٨).

وفي محاولة من عثمان بك حسن لتهديد مواصلات الجيش الفرنسي، فقد قام مع جماعته بالاستقرار على شاطئ النيل الشرقي في منتصف المسافة بين أسوان وإسنا. ولكن الجنرال بليار أسرع بإرسال كتيبة من جنوده لمطاردتهم (١٠٩). وظل يقوم بهذه المهمة حتي ابتعد عثمان بك برجاله عن شاطئ النيل (١١٠). كما كلف بليار قواته بمنع عودة المماليك من وراء الشلال وإجبارهم على البقاء في بلاد النوبة كي يتسرب اليأس إلى نفوسهم واستمر بليار يراقب تحركاتهم (١١١)، ومع ذلك فقد أخذت طلائع المماليك تناوش المخافر الفرنسية على مقربة من أسوان، واضطر بليار إلى مطاردتهم حتى انسحبوا جنوباً إلى بلاد النوبة، وحتى يمنع بليار عودتهم مرة ثانية إلى تلك المنطقة، فقد أمر باقتلاع جميع مزروعاتها ونهب ما فيها من ماشية واحتلال الأماكن التي توفر له أمن وسلامة الجيش الفرنسي (١١٢). ومما لا شك فيه؛ فإن هذه التحركات قد أقلقت القوات الفرنسية وقللت من جهود ديزيه لفرض سيطرته عليها وإشاعة الأمن في تلك المنطقة.

وقام الأهالي رجالاً ونساءً بالتصدي للقوات الفرنسية ورفضوا تقديم أية مساعدة لهم؛ بل إنهم ثبتوا في مواقعهم رغم تهديدهم واستأنفوا القتال ضد القوات الفرنسية. وكان الفرنسيون يلجأون إلى القوة المسلحة في فرض سيطرتهم عليها وعلى سكانها وللاستيلاء منهم على المؤن والأسلحة والغذاء (١١٣).

كما أحبط المماليك خطة الفرنسيين في أن تكون أسوان موقعاً حصيناً للقوات الفرنسية لقطع الطريق على المماليك ولعدم تمكينهم من الخروج من بلاد النوبة والهجوم عليهم، فقد وردت الأنباء إلى الجنرال ديزيه أن مراد بك غادر مكانه قاصداً إسنا وأسيوط. كما أن عرب الحجاز بقيادة الشريف حسن خرجوا من الصحراء ونزلوا على ضفة النيل اليمنى، ولذلك عمل ديزيه جاهداً على مواجهة

المماليك وعرب الحجاز . وقد سببت تحركات ومناوشات المماليك والأهالي وعرب الحجاز قلقاً شديداً لذيزيه حتى أنه أرسل إلى بونابرت في ١٨ فبراير ١٧٩٩م خطاباً وصف فيه موقفه بأنه خطير، فالمعارك متصلة مع (الفلاحين) الأهالي و (المكيين) عرب الحجاز، وأن مراد بك على وشك أن ينقلب مهاجماً مخترقاً للصحراء وراءه هذا فضلاً عن العجز الخطير في الذخيرة والأحذية والعقاقير والمدافع الخفيفة وأن الحرب التي يخوضها مع رجاله هي حرب عسيرة، كما وصف الحال الذي عليه بأنه محزن وكأنه نهاية العالم . وفي خطاب آخر منه لحاكم القاهرة - أثناء قتال بونابرت في الشام لطلب الإمدادات - أكد أنه سيستمر في هزيمة (الفلاحين) و (المكيين) والمماليك (١١٤).

وعلى ذلك، فقد أمر ديزيه بليار بمغادرة أسوان والذهاب إلى إسنا مع جيشه بالكامل ليقطع على المقاومين خط الرجعة وللسيطرة على بلاد الصعيد، كما أمر الجنرال فريان لتمكينه من السيطرة على أسيوط قبل أن يصلها مراد بك (١١٥).

وقد انفصلت بعض جماعات المماليك بقيادة حسن بك الجداوي ومحمد بك الألفي الذين فروا أمام جيش ديزيه في غياهب الصحراء ولم يواصلوا سيرهم إلى ما وراء الشلال؛ بل راحوا يترقبون الفرص للعودة ثانية إلى شاطئ النيل وحاول بليار تعقبهم، فقام في ليلة ٢٥ فبراير بالسير بالبر الغربي للنيل لتعقب مراد بك ولكنه لم يتمكن من ذلك . وفي يوم ٢٨ فبراير وصل بليار إلى إسنا حيث كلف بمواجهة أية حركة هجومية، وفي تلك الأثناء بلغت ديزيه الأنباء بأن جماعات من عرب الحجاز جاءوا لنجدة المصريين وأنهم ينوون احتلال قنا لقطع مواصلات الجيش الفرنسي، وبتحرك قوات عثمان بك وحسن بك الجداوي بالبر الشرقي قبالة إدفو فعهد إلى الجنرال دافو بمطاردهما . وأمر الجنرال فريان باحتلال قنا لمنع اتصال العرب بالنيل وللتحصن بها نظراً لأهمية موقعها (١١٦).

معركة قنسا :

تحتل قنا موقعاً استراتيجياً على جانب كبير من الأهمية فإليها يفضي الوادي المعروف بوادي القصير ، وكانت الملتقى والمر لقوافل الحجاج والتجار والمتوجهين من مصر إلى الحجاز عن طريق القصير ، وإليها ترد هذه القوافل والحجاج القادمين من بلاد المغرب عند عودتهم من الحجاز عن طريق القصير ، فقد كانت كل الإمدادات العربية القادمة من الحجاز سواء أكانت تضم عرب الحجاز أو غيرهم من الحجاج الذين انضموا إليهم لتأدية فريضة الجهاد والمشاركة في التصدي للفرنسيين في مصر تصل أولاً إلى ميناء القصير (١١٧) . وبذلك تحولت قنا إلى مركز تجمع للمتطوعين من عرب الحجاز . وقد وردت الأنباء إلى الجنرال ديزيه والمعلم يعقوب بوجود مراكز تجمع لهؤلاء المتطوعين بقنا ، وأنه قد وصل ألفان آخران منهم إلى القصير ، وأن قوة من المماليك بقيادة عثمان بك حسن في طريقها أيضاً إلى قنا (١١٨) .

وهكذا كانت هذه المدينة وهذا الطريق المؤدي إليها يشكلان خطراً رئيساً على الفرنسيين بوصفهما مركزاً لتجمع المتطوعين سواء أكانوا من الأهالي أو من عرب الحجاز أو من الحجاج المغاربة .

وعندما اتجه الجنرال فريان إلى قنا كان قد سبقه إليها طلائع جنوده ويمثلون خمس مئة مقاتل بقيادة الضابط كونرو Congroux ، وعلى الفور قام الأهالي وعرب الحجاز بالهجوم عليهم قبل منتصف ليلة ٨ رمضان ١٢١٣هـ / ١٣ فبراير ١٧٩٩م . وفي أثناء المعركة جرح الضابط كونرو وحل محله ضابط آخر هو دروسن Drosen ، وقد أصيب أيضاً بعد أن استطاع الفرنسيين صد الهجوم . ثم وصل الجنرال فريان بعد انتهاء المعركة وشرع في إقامة المخافر حول المدينة وعلى مداخل الطرق الموصلة إلى النيل لمنع المجاهدين من معاودة الهجوم ، وتمكن الشريف حسن قائد عرب الحجاز من جمع قواته كما انضم إليه الأهالي المسلحون من سكان البر الشرقي فرباطوا بالقرب من بلدة أبو مناع (١١٩) التي تقع شمال دشنا بالقرب من الجبل

الشرقي (١٢٠).

وكانت القوات التي وردت الأنباء بوصولها هي بقيادة الشيخ محمد الكيلاني ، وفيما يبدو فإنها لم تشارك في المعركة السابقة التي كانت القيادة فيها لقوات عرب الحجاز للشيخ حسن ، وقد بلغ عدد هذه القوات ألفين شخص ، وتمثل الدفعة الثانية من القوات التي وصلت من القصير من عرب الحجاز وغيرهم والتي سبقتها القوة التي وصلت بقيادة حسن الكيلاني . وهو ما يؤكد أن عرب الحجاز لم يصلوا دفعة واحدة ، وإنما على دفعتين وبلغ عددهم جميعاً أربعة آلاف شخص تقريباً .

معركة أبو مناع :

في ١٢ رمضان ١٢١٣هـ / ١٧ فبراير ١٧٩٩م ، اتجه الجنرال فريان بجنوده إلى أبو مناع التي تجمع فيها الأهالي وعرب الحجاز ، حيث دارت معركة أخرى بين الجانبين . وقد حسمت المدفعية الحديثة المعركة لصالح الفرنسيين ، فقد كان الأهالي وعرب الحجاز يستعملون البنادق والسيوف وغيرها من الأسلحة التقليدية ، ولذلك أسفرت المعركة عن قتل عدد كبير منهم وقام الفرنسيون بالاستيلاء على أبو مناع ونهب القرى المجاورة لها وإضرار النار فيها ، ثم اتجه الجنرال فريان إلى جرجا فوصلها يوم ١٦ رمضان ١٢١٣هـ / ٢١ فبراير ١٧٩٩م بتلبية لأوامر الجنرال ديزيه (١٢١) .

ورغم هذه الانتصارات ، فإنه لم يتحقق للفرنسيين بسط نفوذهم على بلاد الصعيد ، فقد ظل مركزهم مضطرباً ونفوذهم مزعزجاً ، كما أدى تبعثر قواتهم على طول النيل إلى حرج موقفهم من الناحية الحربية ، ولم تتحقق لهم كامل السيطرة على جميع بلاد الصعيد نظراً لبعدها المسافات التي تصل بينهما ، وبذلك فإن سلطانهم لم يتعد المدن التي توجد بها حامياتهم . وكان العامل الأكبر في عدم استقرارهم هو استمرار مقاومة الأهالي والبقية الباقية من المماليك والعرب القادمين من القصير ، فأصبحت هذه القوى الثلاث تشكل خطراً على الحاميات الفرنسية وعلى

مواصلات الجيش الفرنسي في النيل ، حيث كانت تقوم بمهاجمة السفن التي تحمل الجنود والذخائر والمؤن . وهكذا تسببت هذه المقاومة والثورات المستمرة والمناوشات والتحركات في إضعاف الجيش الفرنسي في بلاد الصعيد وعدم استقراره مما جعل ديزيه في حاجة مستمرة لمزيد من الإمدادات العسكرية ولمواجهتها . وكانت مقاومة أهالي الصعيد أنكي وأعظم أثراً في إضعاف مركز الفرنسيين ؛ لأنها كانت تنضوي على الكثير من المفاجآت (١٢٢) . وقد ذكر أحد المؤرخين أن هناك معركة أخرى حدثت قرب إسنا يوم ٢٠ رمضان / ٢٥ فبراير من العام نفسه بين الفرنسيين من ناحية وعرب الحجاز ومماليك مراد بك من ناحية أخرى (١٢٣) .

معركة البارود (١٢٤) أو (كارثة السفن الفرنسية) :

كان ديزيه يتخذ من إسنا مقراً للقيادة منذ ٤ رمضان ١٢١٣هـ / ٩ فبراير ١٧٩٩م ، ثم غادرها إلى قوص (١٢٥) التي تحرك منها يوم ٢ مارس وانتقل إلى الشاطئ الأيسر للنيل قاصداً أسبوط وضم إلى جيشه في الطريق الوحدات التي كانت موزعة على طول النهر وترك وراءه أسطول السفن الفرنسية بقيادة القومندان موراندي Morandi تتبعه ببطء عن بعد بسبب اختلاف الريح ، وكان قد كلف الجنرال بليار بإخضاع المنطقة الواقعة بين قنا وأسوان مع إبقاء خمس مئة جندي في إسنا وجعلها مركزاً حصيناً لمراقبة البلاد شمالاً وجنوباً وتوزيع الوحدات المتحركة الواقعة على النيل ، وأن يتقدم إلى قنا ويقوم بتحسينها لمراقبة طريق القصير والنيل (١٢٦) ؛ وذلك لمنع الإمدادات التي يمكن أن تأتي عبرهما .

وعندما بلغت الأنباء إلى القوات المجتمعة في قنا في يوم ٢٦ رمضان ١٢١٣هـ / ٣ مارس ١٧٩٩م (١٢٧) بأن الأسطول الفرنسي عاكسته الرياح أسرعته هذه القوات المؤتلفة من المماليك والأهالي وعرب الحجاز (١٢٨) إلى مهاجمة الأسطول الفرنسي بقرب بلدة البارود . وكان هذا الأسطول يتكون من اثنتي عشرة سفينة

مسلحة بالمدافع الضخمة ومحملة بالأسلحة والذخائر والمؤن والأمتعة وآلات الموسيقى وتقل نحو ثلاث مئة مقاتل من بينها السفينة الحربية (إيطاليا) وهي سفينة نابليون بونابرت الخاصة (١٢٩).

وقد توزعت قوات الأهالي وعرب الحجاز على ضفتي النيل اليمنى واليسرى لإحكام الحصار على هذه السفن فكان عرب الحجاز على ضفتي النيل وانضم إليهم عدد كبير من الأهالي يقدر عددهم بعشرة آلاف شخص ، ودارت معركة شديدة بين الطرفين المتحاربين بالهجوم على السفن الفرنسية بالبنادق لعدم توافر المدافع لديهم . ومع أن السفينة (إيطاليا) تصدت لهم بإطلاق مدافعها عليهم لتبديد شملهم ولإيقاع الخلل في صفوفهم ، كما تسببت نيران المدفعية في قتل الكثير منهم إلا أن ذلك لم يفت في عضدهم أو يقلل من عزيمتهم على مواصلة القتال ، بل لقد انضم إليهم العديد من الأهالي وعرب الحجاز القادمين من القصير وأسرعوا بالنزول إلى نهر النيل سباحة والهجوم على السفن وتمكنوا من الاستيلاء عليهم عنوة وأفرغوا شحنتها من الذخائر على شاطئ النيل ثم ركبوها وحاولوا الصعود إلى السفينة (إيطاليا) والاستيلاء عليها ، والتي كان يقودها القومندان موراندي مما جعله يضاعف إطلاق نيرانه على المهاجمين لصد صفوفهم (١٣٠) وكان لاشتراك الدفعة الثانية من عرب الحجاز- التي قدمت عن طريق القصير بقيادة الشيخ محمد الكيلاني أثر كبير في كسب هذه المعركة وتحقيق انتصار على القوات الفرنسية ، وذلك على الرغم مما قاساه المهاجمون من نيران العدو الكثيفة .

وعندما رأى موراندي أن ملاحيه على ظهر السفينة قد أثختهم الجراح ، وأن جموع الأهالي على الشاطئ الآخر يتحفزون للهجوم وأن ذلك يعوق قيامه بالمناورات بالسرعة اللازمة ، فكر في الانسحاب ولكن الريح عاكسته فجنحت السفينة إلى تل من الرمال حيث سقطت ، وبذلك تمكن العرب من الإحاطة بها من كل جانب والصعود على ظهرها ، وأبى موراندي التسليم رغم إدراكه بالخطر المحدق به وبرجاله . وعندما رأى " سوراندي " ربان السفينة صعوبة إنقاذها أشعل فيها النار

بنفسه ونسف ما فيها من الذخائر وألقى هو ورجاله بأنفسهم في النيل ، وعلى حين أصابت شظايا القنابل عدداً كبيراً من الأهالي ، فقد صمم الباقون على الانتقام من موراندي ورجاله حيث لقي موراندي حتفه متأثراً بجراحه (١٣١) وقتل جميع الفرنسيين الذي كانوا على ظهر السفينة إيطاليا (١٣٢) مما يؤكد على مدى إصرار المجاهدين على المضي في القتال .

وقد وقعت السفن الأخرى في قبضة الأهالي وعرب الحجاز فاستولوا على ما فيها وقتلوا الملاحين وغنم العرب الخزينة وما فيها من مال . وكانت خسارة الجيش الفرنسي في هذه المعركة خمس مئة قتيل منهم مئتا ملاح وثلاث مئة جندي (١٣٣) وهي أكبر خسارة تعرض لها الجيش الفرنسي في مصر .

وتسببت تلك الكارثة - التي بقي ذكرها زمناً طويلاً - في أن يتهم الجنود الفرنسيين قائلين أنهم أساءوا عملاً في وضع الأسطول تحت حماية قوة من جيشه ، وأنه ارتكب خطأ كبيراً لاعتقاده بمقدرة الأسطول على اقتفاء أثر الجيش في وقت انخفاض النيل . كما تشاءم نابليون بوناپرت من فقد السفينة إيطاليا ، وتوقع أن تكون الكارثة نذيراً بتقلص ظل فرنسا عن البلاد الإيطالية (١٣٤) ، وتعد هذه المعركة الحاسمة ثمرة التعاون المشترك بين المصريين وعرب الحجاز الذين ازدادت أعدادهم بعد قدوم الدفعة الثانية بقيادة الشيخ محمد الكيلاني التي انضمت إلى سابقتها ، كما تحقق هذا الانتصار بفضل الروح العالية للمقاتلين الذين ألحقوا بالعدو خسائر فادحة في الأرواح والمعدات وضحوا بأنفسهم في مواجهة مدفعيته وأسلحته الحديثة .

وكان بليار قد ترك في أسوان حامية مكونة من أربع مئة جندي بقيادة الضابط فاليت Falette تنفيذاً لأوامر ديزيه قبل أن يتجه إلى إسنا يوم ٢٣ رمضان ١٢١٣هـ / ٢٨ فبراير ١٧٩٩م لمواجهة تحركات الأهالي وثوراتهم على شاطئ النيل شمالاً . وكانت قوة بليار تتألف من نصف لوائه الحادي والعشرين ترافقها بعض السفن المحملة بالجنود والذخائر والجرحى والمؤن ، حيث وصل إلى أرمنت (١٣٥) في

اليوم الذي دارت فيه مذبحة السفينة إيطاليا . وفي يوم ٢٧ رمضان / ٤ مارس من العام نفسه أبلغه جواسيسه بقدوم أعداد أخرى من عرب الحجاز (١٣٦)، وفي يوم ٢٩ رمضان / ٦ مارس علم بأنباء كارثة السفن الفرنسية فأسرع عبر النيل حيث أخذ طريقه بالبر الشرقي ووصل إلى قوص يوم غرة شوال ١٢١٣ هـ / ٨ مارس ١٧٩٩ م، وعلم أن الأهالي وعرب الحجاز والمماليك يستعدون لملاقاته، فقد تزودوا بالمدافع والذخائر الفرنسية التي استولوا عليها في معركة البارود النيلية (١٣٧) وكان عليه أن يأخذ استعداداته لمواجهة هذه القوات .

معركة قفط (١٣٨) :

كانت القوات الفرنسية في الصعيد موزعة على خطوط طويلة وترتكز على المدن التي تعسكر بها الحاميات، ولما كانت هذه المنطقة تمتد لما يقرب من ألف كيلو متر، فقد شكل ذلك صعوبة للفرنسيين للقضاء على المقاومة في بلاد الصعيد . هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى صعبت من مهمة القوات الفرنسية منها طبيعة أهل الصعيد المتمردة التي تميل إلى المقاومة ومنها رغبة الأهالي في الثأر من المعارك السابقة التي تركت في نفوسهم أحقاداً كثيرة، ومنها أيضاً انضمام عرب الصحراء الشرقية والعرب القادمين من الحجاز وبقايا قوة المماليك، كل هذه العوامل ساعدت على استمرار روح القتال في بلاد الصعيد (١٣٩) .

وكانت قوات الجنرال بليار تقترب من موقع قوات الأهالي وعرب الحجاز والمماليك على مقربة من قفط، حيث كانوا يرابطون في السهل وعددهم ثلاثة آلاف من المشاة من الأهالي وعرب الحجاز ونحو ٣٥٠ - ٤٠٠ من المماليك (١٤٠)، وفي يوم ٨ مارس ١٧٩٩ م / ١ شوال ١٢١٣ هـ التقى الطرفان وجهاً لوجه ودارت بينهما معركة حامية ولكن المعركة انتهت بهزيمة الأهالي والعرب والمماليك (١٤١)، وانسحابهم إلى أبنود (١٤٢) .

معركة أبنود :

عندما اضطر الأهالي وعرب الحجاز والمماليك إلى الانسحاب من قفط إلى أبنود كانوا يتحصنون في كل قرية من القرى التي تصادفهم ويدافعون عنها دفاعاً مستميتاً، واستخدموا في ذلك المدافع التي كانوا قد استولوا عليها من الفرنسيين بكفاءة مما أدى إلى الفتك بالكثير من الفرنسيين، وإذ ذاك شعروا لأول مرة بشدة نيران مدافعهم وهي في أيدي المصريين. (١٤٣) ويبدو أن اشتراك الشيخ محمد الكيلاني في هذه المعركة قد سبب إزعاجاً للفرنسيين، فبعد وصوله مباشرة أرسل إلى الفرنسيين كتاباً يدعوهم فيه إلى الإيمان بالله ورسوله وإلا فالقتال فأجابوه إلى القتال. (١٤٤) ولذلك صمم الفرنسيون على استعادة هذه المدافع ليتمكنوا من السيطرة على الموقف. (١٤٥)

وقد تمكن الجنرال بليار من تنفيذ خطته في استعادة هذه المدافع التي كانت في أيدي المصريين، وبذلك ضمن تجريدهم من أقوى سلاح كان في يدهم، ولم يتوقف المصريون وعرب الحجاز والمماليك عن القتال، حيث استمرت معركة أبنود ثلاثة أيام بدءاً من يوم ٨ مارس إلى يوم ١٠ مارس ١٧٩٩م / ١-٣ شوال ١٢١٣هـ، واشتد فيها القتال بين الفريقين. (١٤٦) وكانت قوات بليار قد اتخذت شكل مربع لمواجهة الأهالي وعرب الحجاز والمماليك، ووصف أحد الضباط الفرنسيين مشهداً لقتل ثلاثة من الضباط الفرنسيين أمام عينيه، وقام بليار ومعه فصيلتان من الرماة بالهجوم على حسن بك الجداوي وقواته ودارت معركة شديدة انطلقت أثناءها المدفعية فمنعت عرب الحجاز من التقدم لنجدة إخوانهم، ولكن المماليك فاجأوا الفرنسيين من الخلف، حيث انقضوا عليهم فقطعوا خط الرجعة على نحو خمسة وعشرين من الرماة الفرنسيين واستمرت ضراوة المعركة حتى أن كل فرنسي كان يقابله ستة من الرجال، ولكن بليار نجح في إنقاذ جيشه. (١٤٧)

ولم يتورع بليار عن إضرار النار في بيوت القرية كلها بعد أن لجأ إليها الأهالي وعرب الحجاز وأصبحت البلدة شعلة من الجحيم واستحالت إلى أكوام من

الخرائب . ولم يجد الأهالي والعرب سوى قصر حصين كان مقرّاً لكشاف المماليك فلجأوا إليه وإلى مسجد مجاور أيضاً واحتموا فيهما من نيران الفرنسيين ، وبدأوا في قتال الفرنسيين مستخدمين الذخيرة التي غنموها فاشتد القتال حول القصر والمسجد ولم يتوقف القتال ليلاً إلا بعد أن قام الفرنسيون بحرق المسجد وأخذوا يحاصرون القصر طول الليل بعد أن تكبدوا خسائر فادحة ، ولم يشارك المماليك بفعالية في هذا اليوم . وفي يوم ٢ شوال ١٢١٣هـ / ٩ مارس ١٧٩٩م ، استؤنف القتال مرة ثانية ، وقام الفرنسيون بضرب القصر الذي يحتمي به الأهالي وعرب الحجاز بالمدافع ، وقد دفع ذلك بعدد كبير من الأهالي والمماليك إلى محاولة نصرتهم ورفع الحصار عن هذا القصر ، ولكن الفرنسيون كانوا لهم بالمرصاد . (١٤٨)

تمكن الفرنسيون من دخول إحدى ساحات القصر تنفيذاً لأوامر بليار باقتحامه وإشعال النار فيه لإكراه المحتمين به على التسليم ، وقد قاوم عرب الحجاز ببسالة حيث أمسك كل منهم سيفاً بيد وبندقية بالأخرى وهم يطلقون النار على الفرنسيين ويقفزون إلى اللهب في محاولة لإخمادها بأقدامهم . ويذكر أحد الضباط الفرنسيين هذا المشهد بشيء من الرعب والإعجاب ، وأن فترات السكون كان يقطعها صوت الصلاة وترديد الأناشيد الدينية وصيحات الحرب ، ويعقب ذلك قيامهم بالهجوم رغم يقينهم بأنهم سيلقون حتفهم . (١٤٩)

واستمرت المقاومة أثناء الليل في جنبات القصر وفي الفناء وتمكن الأهالي وعرب الحجاز من ثقب الجدار ثم تسللوا عبر الظلام وإن كان بعضهم قد فتك به الفرنسيون (١٥٠) ، وفي اليوم الثالث ٣ شوال ١٢١٣هـ / ١٠ مارس ١٧٩٩م دخل الفرنسيون القصر فوجدوا نحو ثلاثين شخصاً منعتهم جراحهم من اللحاق بزملائهم . ومع ذلك فقد سارعوا بالدفاع عن أنفسهم ولكنهم هلكوا جميعاً إلا ثلاثة تونسيين استبقاهم بليار لاستجوابهم (١٥١) ، وقد شارك الشيخ محمد الكيلاني وجماعة من رجاله في معركة أبود وطوال الأيام الثلاثة ، حيث قاتلوا

بضراوة أثناء الحصار والحريق حتى نفذ ما لديهم من ماء ومؤن ثم خرج بمن معه ليلاً (١٥٢) إلى بئر عنبر وهي بلدة قريبة من قنا .

وهكذا شارك بعض التونسيين في معركة أبنود وظلوا يقاومون إلى جانب المصريين وعرب الحجاز حصار القوات الفرنسية ، ولعلمهم كانوا من الحجاج الذين جاءوا إلى مصر في طريق عودتهم إلى بلادهم .

وفي أعقاب انتهاء المعركة تظاهر مماليك عثمان بك حسن بالرغبة في القتال مع أنهم لم يتحركوا أثناء القتال ، ولكنهم مالبثوا أن فروا في الصحراء أمام هجوم بليار فتركهم وعاد إلى أبنود ، وعثر الفرنسيون في القصر على جانب من الذخائر التي فقدوها في معركة البارود النيلية ، التي كان يستخدمها الأهالي وعرب الحجاز في مقاومتهم ، كما استردوا المدافع التي كانت لا تزال معهم واستولوا على ست رايات منها اثنتان للحجازيين . وقد تراوحت خسائر المصريين وعرب الحجاز طبقاً لتقدير بليار بين خمس مئة إلى ست مئة شخص ومن ثمانية إلى عشرة من المماليك وعدد كبير من الجرحي . أما خسائر الفرنسيين فكانت خمساً وثلاثين قتيلاً ومئة وأربعة وثلاثين جريحاً ، وهي خسائر جسيمة بعد قتال استمر ثلاثة أيام . وكان حريق أبنود وما أصابها من الدمار أسوأ مأساة تعرضت لها إحدى بلاد الصعيد في مقاومتها للحملة الفرنسية . (١٥٣)

وقد أنهكت هذه المعارك القوات الفرنسية وقلل من قيمة انتصارهم الخسائر الجسيمة ونفاد الذخيرة ، وزاد موقفهم حرجاً الروح العدائية للأهالي في تلك المنطقة فقد كان الفرنسيون يشعرون أنهم محاطون بالأعداء من كل مكان وأنه لا بد من فرض سيطرتهم بالقوة المسلحة ؛ ولذلك طالبت قيادتهم بتزويدهم بالإمدادات والمؤن ، وقد اتجه بليار إلى قنا فوصلها يوم ٥ شوال ١٢١٣هـ / ١٢ مارس ١٧٩٩م ، وأخذ في تحصينها ، وقرر ديزيه - الذي كان في أسبوط - التوجه إليه وقام بالتنكيل بأحد مشايخ البلاد الذين اشتهروا بمقاومة الحملة الفرنسية ، ووصل إلى قنا يوم ١٥ شوال ١٢١٣هـ / ٢٧ مارس ١٧٩٩م حيث أخذوا يعدان العدة لمواصلة

وهكذا؛ فإن هذه المعارك العديدة التي خاضتها القوات الفرنسية في الصعيد لم تقض تماماً على المقاومة فقد استمرت مقاومة الأهالي ومن عاونوهم من المماليك وعرب الحجاز رغم ما لحق بهم من خسائر فادحة في الأرواح والأموال ورغم ما أصاب معظم بلادهم من خراب ودمار، ومن ثم فقد أدرك الفرنسيون أن أمر أخضاع بلاد الصعيد وإنهاء المقاومة ليس بالشيء اليسير.

وعندما سأل الشيخ محمد الكيلاني - بعد انتهاء المعركة - عن أخوانه عرف أنهم قد تشتتوا، فاتجه إلى حجازة (١٥٥) ومع عدد قليل من الرجال وأبقى حسن الكيلاني في بئر عنبر التي كان يوجد فيها من أمراء المماليك حسن بك الجداوي وعثمان بك (١٥٦) ومعهما عدد كبير من المقاتلين من الأهالي وعرب الحجاز والمماليك، وقد استقر الشيخ محمد الكيلاني في حجازة، حيث توفي بعد ثلاثة أيام بسبب علة أصابته. وبشيوخ خبر وفاته اتجه جمع كبير من المقاتلين من عرب الحجاز إلى حجازة للنظر فيما أوصى به فوجدوه قد أوصاهم بتقوى الله والجهاد في سبيله والصبر على ملاقاتة الأعداء، ويبدو أن وفاته قد أثرت في توحيد صفوف المتطوعين إلى حدٍّ ما، فعلى حد قول لطف الله جحاف: "تبدد النظام وكثر الكلام" (١٥٧).

معركة بئر عنبر:

تجمع الأهالي والمماليك بقيادة حسن بك الجداوي في الوديان التي تصل وادي النيل بسواحل البحر الأحمر، حيث كانت هذه الوديان بمثابة مراكز تجمعهم (١٥٨) وهكذا كان شأنهم في كل معركة إذ يعاودون التجمع من جديد للهجوم على قوات العدو أو لاستئناف المقاومة.

ولذلك قرر ديزيه - الذي كانت قواته تتألف من ١٥٠٠ من خيرة جنوده - مواجهة قوات المماليك بقيادة حسن بك الجداوي فसार جنوباً محاذياً البر الشرقي للنيل متتبّعاً قوات حسن بك من بلد إلى آخر. وكان ديزيه يهدف إلى قطع الطريق

على هذه القوات حتى لا يصلوا إلى النيل من الطريق الموصل إليه وقام باحتلال طريق بئر عنبر، وأمر بليار باحتلال حجازة الواقعة جنوبي قوص بقرب الجبل الشرقي فاحتلها في آخر مارس ؛ وبذلك صار الفرنسيون يسيطرون على رأس الطريقين الموصلين إلى النيل، وظل بليار يتابع تحركات المماليك (١٥٩).

وفي يوم ٢٦ شوال ١٢١٣هـ / ٢ أبريل ١٧٩٩م اتجه بليار بقواته لقتال المماليك، وعلى مسافة من بئر عنبر التقت طلائع القوات الفرنسية من الفرسان بقيادة ديزيه ومعه الجنرال دافو Davout بقوة المماليك التي كان عددها نحو خمس مئة بقيادة حسن بك الجداوي ويعاونه عثمان بك حسن يعاونهم ألف من الأهالي والعرب، ودارت معركة شديدة بينهما تلت فيها كتيبة الفرسان صدمة الهجوم وتأخر المشاه عن المعركة لوعورة الطريق وصعوبة السير في الرمال. وأسفرت المعركة عن مقتل أربعة وأربعين فرنسيّاً منهم عدد من الضباط من بينهم الكولونيل دوبلسي Duplessis والضابط بوفاتييه Bouvatiet وعشرون جريحاً، وتدل هذه الخسارة الكبيرة على اشتداد القتال. وقد تعرض القائد الفرنسي ديزيه للخطر لولا أن افتداه الكولونيل دوبلسي بحياته. وقد انسحب حسن بك بقواته جنوباً إلى أسوان (١٦٠). وكان بليار مازال يحتل حجازة لقطع طريق انسحاب المماليك وحلفاؤهم (١٦١)، ولم يقدّم بمطاردة فلول حسن بك حيث أمره ديزيه بالمرابطة في قنا (١٦٢).

واقعة برديس (١٦٣) :

استأنف أهالي البلاد الواقعة بين قنا وجرجا ثورتهم، وقد تصدى لها الجنرال دافو تنفيذاً لأمر الجنرال ديزيه لإخضاعهم ومنعهم من السيطرة على البر الشرقي لقطع مواصلات الجيش الفرنسي كما كلف ديزيه الكولونيل موراند Morand قومندان جرجا بالوقوف في وجه الثوار، ولما شعر الأهالي وعرب الحجاز بحرج موقفهم لم ينتظروا حتي يسد عليهم الجنرال دافو الطريق ومروا على شاطئ النيل

بغرب برديس، وفي يوم ٢٩ شوال ١٢١٣هـ / ٥ أبريل ١٧٩٩م، عاد موراند إلى جرجا ومعه مئتان وخمسون رجلاً وذلك للقائهم في برديس (١٦٤)، وكان الأهالي والعرب والمماليك قد شعروا بالخطر فعبروا النيل شمالي برديس وصاروا بالبر الغربي فاتجه إليهم موراند والتقي بهم يوم غرة ذي القعدة ١٢١٣هـ / ٦ أبريل ١٧٩٩م. وكان عدد الأهالي وعرب الحجاز الذين استعدوا لقتال الفرنسيين في برديس عدداً كبيراً، كما انضم إليهم الأهالي من القرى المجاورة، وقاموا بالهجوم على الفرنسيين مرتين وكان القتال شديداً مما اضطر معه موراند إلى التقهقر إلى جرجا لحماية مواقع الفرنسيين بها (١٦٥). وكان الأهالي والعرب يصيحون صياحاً عالياً عند صدهم لقوات موراند عن برديس، وقد قتل كثير منهم كما ترك بعضهم برديس بعد المعركة (١٦٦).

واقعة جرجا:

في اليوم التالي ٢ ذو القعدة ١٢١٣هـ / ٧ أبريل ١٧٩٩م، قام الأهالي يعاونهم عرب الحجاز والمماليك بمحاولة استرداد جرجا من أيدي الفرنسيين (١٦٧)، وقد شجعهم تقهقر موراند على الهجوم على جرجا وانضم إليهم الكثير من أهالي البلاد التي مروا بها حتى تضاعف عددهم، فكان عدد الأهالي ثلاثة آلاف رجل يعاونهم جماعة من المماليك وعرب الحجاز وقاموا بالهجوم على جرجا، وتمكن فريق منهم من الدخول فيها. ولكن موراند تصدى لهم بقواته ودار بينهم قتال عنيف. وقدر عدد قتلى المهاجمين بمئة وخمسين قتيلاً بينما كانت خسائر الفرنسيين ستة قتلى وأحد عشر جريحاً (١٦٨). وشارك في هذا الهجوم من عرب مصر قبيلة الهوارة التي ارتفع شأنها في إقليم جرجا قبل مجيء الحملة الفرنسية، وكان أحد رؤسائها الشيخ عبدالمنعم الهواري قد أخبر - الأهالي وعرب الحجاز الذين اتجهوا إلى براري جرجا بقرب مواقع العدو - عن مقر إقامة الفرنسيين حيث نزل هؤلاء المقاتلون على الشيخ المذكور، وعندما أقبلت طلائع الفرنسيين دارت معركة كبرى بين الطرفين

راح ضحيتها الكثير من الطرفين، وقد قام الشيخ بقتل العديد من الفرنسيين (١٦٩).
واقعة جهينة (١٧٠):

امتدت ثورة الأهالي إلى طهطا يعاونهم عرب الحجاز والمماليك، وقام الثوار بالاستيلاء عليها فحضرت إحدى الكتائب الفرنسية من أسبوط بقيادة لاسال Las-sale والتقى بالثوار في جهينة في يوم ٥ ذي القعدة ١٢١٣هـ / ١٠ أبريل ١٧٩٩م، وقام الفرنسيون بحصار القرية وضربها بالمدافع لكن الأهالي وعرب الحجاز والمماليك ظلوا يقاومون لعدة ساعات، واحتدمت المعركة بينهم داخل القرية التي تحصن الثوار في إحدى دروبها الحصينة، وقد اقتحمها الفرنسيون واستولوا عليها، وخسر الأهالي وعرب الحجاز ما يقرب من ثلاث مئة قتيل، وأشعل الفرنسيون النار في القرية (١٧١)، وكان بين هؤلاء القتلى الشريف الذي يلي حسين في القيادة، ولم يكف الجنرال دافو عن مطاردة الأهالي (١٧٢).

وعلى الرغم من أن لطف الله جحاف والجبرتي، وهما مؤرخان معاصران للأحداث يذكران أن مشاركة عرب الحجاز قد توقفت عند هذا الحد؛ فإنه يمكن القول إن إسهاماتهم استمرت وإن بدت بصورة أقل مما كانت عليه، فقد ذكر لطف الله جحاف بأن جرجا كانت آخر المعارك التي اشتركوا فيها (١٧٣)، كما عزا الشيخ الجبرتي انصراف عرب الحجاز عن المشاركة بعد مقتل القائد الذي يلي الشريف حسن (١٧٤) أي بعد واقعة جهينة. وفيما يختص بالرأي الأول؛ فإنه يلاحظ أن بعض عرب الحجاز قد شاركوا في واقعة جهينة، ويؤكد ذلك مقتل القائد الذي يلي الشريف حسن، ومن غير المنطقي اشتراكه وحده في هذه الواقعة. كما تؤكد الأحداث التالية لهذه الواقعة مشاركة بعض عرب الحجاز في القتال إلى جانب المصريين، وإن كان البعض يرى أنهم عرب مصريون أي من قبائل العرب المصريين (١٧٥). وهناك من يرى أن عرب الحجاز قد هلكوا تقريباً في واقعة جهينة، ومع ذلك؛ فإن الوقائع التالية تؤكد استمرار مشاركتهم إلى جانب المصريين (١٧٦).

ثورة بني عدي (١٧٧) :

تعد بني عدي من البلاد الكبيرة ذات الأهمية البالغة بالنسبة لموقعها وعدد سكانها وثروتها وهي تقع على طريق الصحراء غربي منفلوط ، ويشتهر أهلها من قديم الزمن بالقوة والشجاعة وشدة البأس . وقد امتدت ثورة الأهالي إلى أسيوط . وكانت ثورة بني عدي - القريبة من أسيوط - ضد الفرنسيين ثورة عارمة . وقد شارك المماليك والعرب في هذه الثورة وكذلك أهالي دارفور (١٧٨) الذين جاءوا مع القوافل من قلب أفريقيا ، وانتشرت الشائعات بأن مراد بك غادر الواحات ليقود الثوار وأنه أرسل بقواته وكشافة لتنظيم تلك القوة ، وإعدادها وإثارة حميتها لقتال الفرنسيين ، وقد اشترك ثلاث مئة من قواته في هذه المعركة (١٧٩) . ولقي الجيش الفرنسي في هذه البلدة مقاومة لم يلق مثلها في كثير من البلاد . ولما كان الفرنسيون يلجأون عند عجزهم عن رد الثائرين إلى إشعال الحرائق ، فقد قاموا بحرق بني عدي للتغلب على شدة مقاومة الأهالي بعد انسحاب المماليك (١٨٠) .

ثورة المنيا (١٨١) وبني سويف :

في أعقاب حريق بني عدي ، انتشرت الثورة في القرى المجاورة ، ولم يتمكن الجنرال ديتريس - قائد الحامية الفرنسية في المنيا وأحد قواد الجنرال ديزيه - من القضاء على الثورة لقلّة جنوده مما وضعه في موقف حرج . ثم وصلت إليه النجدة بقيادة الجنرال دافو . وقد سرت إشاعة عندئذ بتوجه عرب الحجاز إلى بني سويف التي اندلعت فيها وفي البلاد المجاورة نيران الثورة فاتجه إليها الجنرال دافو (١٨٢) . وكان أهالي البلاد وشيوخها يرفضون إمداد دافو بالمتونة أو أية مساعدة مما جعله يحاصرها ويضرم النار فيها انتقاماً منهم مما دفع الأهالي إلى حمل السلاح في مواجهة القوات الفرنسية ومن ذلك ما حدث في قرية أبو جرج (١٨٣) .

وعندما اندلعت الثورة في البلاد المجاورة للمنيا قام حاكم المنيا بمواجهتها ، وظلت المعارك ثلاثة أيام متوالية تحت أسوار مدينة المنيا حيث بدأت في ٢٣ أبريل

وانتهت في ٢٠ ذي القعدة ١٢١٣هـ / ٢٥ أبريل ١٧٩٩ م وذلك قبل وصول الجنرال دافو، واشترك في هذه الثورة أربع مئة من الأهالي ومثلهم من عرب الحجاز في قرية جنوب المنيا وهي طهنشا (١٨٤). كما اشترك فيها بعض المماليك حيث هاجم الثوار معسكر الفرنسيين بكل شجاعة وإقدام، مما اضطر معه الفرنسيين إلى اتخاذ موقف الدفاع والتحصن داخل المنيا (١٨٥) ثم حدثت ثورة أخرى قام بها الأهالي في إطفيح (١٨٦) بمديرية الجيزة.

وبذلك؛ فإنه يمكن القول إن عرب الحجاز استمروا في مساعدة ثورة أهالي الصعيد في أعمال المقاومة ضد الفرنسيين والتصدي لهم. وكان لهم دور في ثورة بني سويف والمنيا، بعكس ما ذهب إليه بعض المؤرخين المعاصرين بانصرافهم بعد موقعة جرجا أو جهينة، ولكن يلاحظ أن أعدادهم قد صارت قليلة مما يعني انصراف الكثير منهم عن القتال وتوجههم إلى القاهرة أو إلى بلاد الشام أو العودة إلى بلادهم. ولعل ذلك كان راجعاً إلى الأسباب الآتية:

- ١- وفاة قائد المتطوعين وزعيمهم الشيخ محمد الكيلاني في حجاز، ثم مقتل القائد التالي للشريف حسن في موقعة جهينة. حيث أدت وفاة الشيخ محمد الكيلاني إلى تفرق الكثير من عرب الحجاز وتوجههم إلى بلاد عدة منها القاهرة (١٨٧).
- ٢- الخسائر الكبيرة في الأرواح، فقد كان الأهالي وعرب الحجاز يستخدمون أسلحة تقليدية في مواجهة عدو يمتلك أسلحة حديثة ونظماً حربية متطورة.
- ٣- انقطاع وصول الإمدادات من عرب الحجاز، وهو أمر سعى الفرنسيون إلى تحقيقه عن طريق السيطرة على الأماكن التي يفدون إليها وأهمها القصير.
- ٤- لجوء العدو الفرنسي إلى وسائل غاية في البشاعة والعنف، وهي إضرام النار في القرى والبلاد التي يوجد بها الثوار والمتطوعون أو تشتت بها المقاومة.
- ٥- فشل الجهود المستمرة للأهالي وعرب الحجاز في الاحتفاظ بمواقعهم والقتال منها، فقد كانوا ينتقلون من قرية إلى أخرى ومن مدينة إلى أخرى بحثاً عن

أماكن حصينة .

٦- عدم ثبات الماليك في القتال، فقد كانوا يشجعون الأهالي على الثورة والتصدى للفرنسيين ثم يقومون بالفرار عند اشتداد القتال حفاظاً على أرواحهم .

وقد عاد بعض عرب الحجاز إلى بلادهم قبل انتهاء المعارك بل قبل معركة جرجا أو جهينة، فقد ذكر لطف الله جحاف ما نصه . «وفي شوالها (عام ١٢١٣هـ) توفي محمد بن عابدين بن محمد حياة السندي كان أميراً على المتطوعة في جهاد الفرنسية بمصر، فعاد وقد قضى ما عليه من فريضة الجهاد، وقضى نحبه بأشرف بلدة وأعز ناد . وكان أسرع مسعر حرباً وقدح زناد، وفوضه في أمرته تلك محمد المغربي الهاشمي الجيلاني المقدم الذكر» (١٨٨) . مما يدل على عودة بعض عرب الحجاز إلى بلادهم منذ شهر مارس ١٧٩٩م أو قبلها، وذلك قبل انتهاء المعارك في الصعيد .

واقعة أسوان :

كان حسن بك الجداوي ومعه عثمان بك ورجالهما قد اتجهوا إلى ما وراء الشلال بعد معركة بئر عنبر، وكان الضابط أبلر Eppler مرابطاً في إسنا بكتيبة من خمس مئة جندي يراقبه ويمنع عودته من وراء الشلال . وقد تقدم حسن بك بقواته وتم له السيطرة على أسوان، وبدأت قواته تتجه شمالاً (١٨٩) مما اقتضى العمل على وقف تقدمها .

وقد كلف الجنرال ديزيه الجنرال بليار بمواصلة العمل ضد هذه القوات ونصحه بأن يجمع ثلاث مئة جمل لنقل جنوده إلى الجهات التي تقوم بالثورة ليسهل له بذلك الوصول إليها وردعها . وقام بليار بتكليف الكابتن رينو Renaud قومندان إسنا ومعه مئتا رجل من المشاة بالاستيلاء على أسوان . وكانت قوات حسن بك تتألف من مئة وثمانين مملوكاً ومئتي رجل من الأعراب وثلاث مئة من الأهالي،

والتقت القوتان يوم ١١ ذي الحجة ١٢١٣هـ / ١٦ مايو ١٧٩٩م، وقد تمكن رينو من هزيمة حسن بك الذي جرح في المعركة، وكذلك عثمان بك جروحاً خطيرة توفيا على إثرها بعد عدة أيام، وكانت خسائر المماليك خمسين قتيلاً وستين جريحاً (١٩٠). أما خسائر الفرنسيين فبلغت أربعة عشر قتيلاً وخمسة عشر جريحاً. ومع أن المصادر لم توضح دور عرب الحجاز في هذه الواقعة إلا أن أحدها ذكر أنه لم يبق من قوات حسن بك سوى أحد أشرف ينبع (١٩١) مما يعني اشتراك بعض عرب الحجاز إلى جانب المماليك والعرب المصريين والأهالي في هذه الواقعة.

تنظيم بلاد الصعيد:

أصدر الجنرال ديزيه قراراً في ٧ ذي القعدة ١٢١٣هـ / ١٢ أبريل ١٧٩٩م بتنظيم بلاد الصعيد لتسهيل السيطرة عليها، وقد عين الجنرال دافو Davout لحكم إقليم أسيوط والجنرال فريان Friant لإقليم جرجا والجنرال بليار Belliard لإقليم قنا، وتم تعيين هذه الأقاليم (١٩٢) ثم قام بتقسيم الصعيد إلى قسمين وجعل أسيوط عاصمة القسم الأول ويكون تحت قيادته، أما القسم الثاني فكان في قنا تحت قيادة بليار (١٩٣).

ونظراً لأن سواحل البحر الأحمر تشكل خطراً للقيادة الفرنسية، حيث إنها كانت تشتمل على ثغور تسمح بتزويد المقاومة المصرية بالرجال والسلاح التي تأتيها من بلاد الحجاز من ناحية، ومن ناحية أخرى، فقد كان في وسع البحرية البريطانية أن تصل إلى هذه الثغور وتقوم بحصر القوات الفرنسية من ناحيتي البحر المتوسط والبحر الأحمر (١٩٤)، لذلك فقد صممت القيادة الفرنسية على ضرورة احتلال القصير وتحصينه لمنع ورود المدد منه إلى رجال المقاومة المصرية، وكذلك احتلال الواحة الكبرى والواحة الصغرى، لأن احتلال القصير سيضمن للفرنسيين تحسين علاقاتهم بأشرف الحجاز، حيث إن السفن القادمة من بلاد العرب وموانئ البحر الأحمر كانت تأتي لتحمل الأرز والقمح وبعض الحبوب الأخرى لتلك المناطق

وبخاصة مكة والمدينة (١٩٥)، ولذلك كلف الجنرال ديزيه الجنرال بليار باحتلال القصير وتوطيد السلطة الفرنسية على سواحل البحر الأحمر وتنظيم مديرية قنا والاهتمام بجمع الأموال الميرية وتنظيم الشرطة بها (١٩٦).

وقد أوصى ديزيه بليار باستعمال الشدة والعنف في إخضاع الأهالي وأبلغه أنه قد أعطى الأمان أيضاً لأهل ينبع وجدة؛ لأنه من المصلحة التودد إلى أهل تلك الجهات الذين يسيطرون على التجارة في البحر الأحمر (١٩٧)، وهكذا لجأ ديزيه إلى استخدام كل الوسائل الممكنة وغير الممكنة لتحقيق هدفه في السيطرة على بلاد الصعيد ومحاولة بسط نفوذه على الأهالي، ولمنع قدوم أي متطوعين آخرين إلى المجاهدين.

احتلال القصير :

في ٢٠ ذي الحجة ١٢١٣هـ / ٢٥ مايو ١٧٩٩م، وصلت الإمدادات كافة من الذخيرة والمؤن التي طلبها الجنرال بليار لحملة القصير، وفي اليوم التالي غادر قنا للزحف على القصير برغم ما يشكو من رمد في عينيه، وتألقت قواته من ثلاث مئة من المشاة على ظهور الجمال وأربع مئة جمل تحمل المؤن ومدفعاً ومعه حرس مكون من ستين أعرابياً من قبيلة موالية. وفي يوم ٢٣ ذي الحجة / ٢٨ مايو ١٧٩٩م استمرت القوات راكبة لمدة أربع عشرة ساعة (١٩٨).

وفي اليوم التالي وصلت الحملة إلى القصير واحتلت قلعتها دون مقاومة، وغادرها بليار في أول يونيو وترك بها الجنرال دونزيلو Donzelot الذي كان قد أرسله ديزيه لمساعدته في احتلال القصير (١٩٩)، وقد تأجل احتلال الواحات إلى شهر نوفمبر بسبب شدة القيظ ووعورة الأرض (٢٠٠)، وباحتلال القصير توقف إمداد مراد بك من عرب الحجاز (٢٠١).

وعدّ الفرنسيون احتلال القصير خاتمة لأعمالهم الحربية في الصعيد، ولذلك قام نابليون بوناپرت بمكافأة الجنرالات ديزيه وبليار وفريان على حسن بلائهم في

الحملة على الصعيد (٢٠٢). ومع ذلك؛ فإن السلطة الفرنسية في الصعيد، التي استندت إلى القوة الغاشمة في بسط سيطرتها على هذه البلاد واستعمال الحرق والقتل كانت مهددة، وكان الأهالي متحفزون دائماً للهجوم على الحاميات الفرنسية. ومن ثم؛ فإن دعائم السلطة لم تترسخ في هذه البلاد بالرغم من انتصاراتهم الحربية وبالرغم من وسائل القسوة والإرهاب التي استخدموها في إخضاع البلاد.

ولقد اعترف نابليون بوناپرت والقيادة الفرنسية أنه بدون استخدامهم لهذه الوسائل ما أمكنهم إخضاع بلاد الصعيد والسيطرة عليها (٢٠٣)، والقضاء على روح المقاومة فيها التي وصفها الفرنسيون بأنها كانت مواقع حربية كاملة حقيقية (٢٠٤) والتي ظلت تهدد قواته وتطاردها في كل مكان في مساحة مترامية الأطراف مما أزهقه وقلل من قيمة انتصاراته وأفقده الإحساس بالأمان والاستقرار. وقد أثبتت أحداث الحملة الفرنسية والمقاومة الباسلة التي قام بها المصريون والمتطوعين من عرب الحجاز وشمال أفريقيا أن الشعوب العربية هي شعوب أمة واحدة، تظهر أصالتها ويبرز تضامنها وقت الشدائد، وكانت مظهراً رائعاً للأخوة العربية والترابط العربي (٢٠٥).

وهكذا؛ فإنه يمكن القول إن إقامة الحملة الفرنسية بالبلاد كانت غير مستقرة، فلم تنجح محاولة الفرنسيين بالتوحد إلى المصريين والتأثير على عواطفهم ومشاعرهم الدينية والوطنية، فقد استمرت المقاومة الوطنية تقاوم الوجود الأجنبي على أرضها، وقد تميزت أعمال المقاومة في بلاد الصعيد بأنها كانت حرب عصابات وثورات مستمرة لا تهدأ وقاتل شديد وبخاصة في المعارك والأحداث التي وقعت في سمهود وقنا وأبو مناع والبارود (النيلية) التي سببت قلقاً متزايداً للفرنسيين. وكانت المعارك التالية لها أشبه بالثأر لما جرى في هذه المعركة، وكذلك معارك قفط وأبنوب وبئر عنبر وبرديس وجرجا وجهينة وبنى عدي والمليا وبنى سويف وأسوان. وتعد هذه المعارك دليلاً على فعالية المقاومة وشدتها. كما تعد المقاومة المستمرة دليلاً

على ضعف الوجود الفرنسي وعدم تمتعه بالأمن والاستقرار، وتدل أيضاً على اشتداد روح المقاومة التي شارك فيها إلى جانب المصريين والمماليك عرب الحجاز وشمال أفريقيا ودارفور مما يعني وجود ترابط قوي بين العرب والمسلمين ضد أي خطر أجنبي يهدد بلادهم، ويمس روابطهم ومعتقداتهم الدينية.

هوامش البحث

(١) نابليون بونابرت: أونابليون الأول عاش في الفترة (١٧٦٩-١٨٢١م) ولد في أجاكسيو بجزيرة كورسيكا، وهو ابن كارلو وليتشيا بونابرت، عند نشوب الثورة الفرنسية اشترك الضابط الشاب نابليون في فتنة الجزيرة ضد باولي واضطرت أسرته إلى الهروب من كورسيكا ١٧٩٣م إلى فرنسا، واسترعى نابليون إليه الأنظار للدور الذي قام به في طرد الإنجليز من طولون ١٧٩٣م، ثم وضع مع حكومة الإدارة خطة لضرب الإنجليز في الشرق باحتلال مصر، فأرسل في حملة نزلت بمصر في أول يولية (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م) وسحق المماليك في الرحمانية ومعركة إمبابية- ولكن الإنجليز أغرقوا أسطولهم في معركة أبي قير البحرية، فخرج في حملة إلى سوريا في فبراير ١٧٩٩م ولكنها أخفقت أمام حصون عكا المنيعه، ولما علم بهزيمة فرنسا على يد النمساويين والروس في إيطاليا ترك مصر وعاد إلى باريس، وبعد عدة انتصارات توج نابليون إمبراطوراً للفرنسيين عام ١٨٠٤م وملك إيطاليا ١٨٠٥م وتحالفت أوربا ضده وهزم في معركة ليبزج (معركة الأمم) ١٨١٣م وطاردته جيوش الحلفاء حتى غزت فرنسا نفسها، فتنازل نابليون عن العرش، ونفي إلى جزيرة ألبا ورغم أنه عاد مرة أخرى لمدة قصيرة إلا أنه هزم أخيراً في معركة ووترلو ١٨١٥م فنفي إلى سانت هيلانة، ثم مات بمرض السرطان في مايو ١٨٢١م.

-انظر الموسوعة العربية الميسرة، الجزء الثاني، دار نهضة لبنان، بيروت ١٩٨٠م، ص ص ١٨١٢ - ١٨١٣ .

(٢) عبدالرحمن الرافعي: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ج ١، ط ٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، ص ص ٧٨-٧٩ .

(٣) د محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤م، مكتبة سعيد رافت، القاهرة ١٩٧٧، ص ١٩٢ .

- عاش تيبو سلطان في الفتره (١٧٥٣ - ١٧٩٩م)، وهوابن حيدر علي صاحب ميسور، استعان به أبوه في عدة حروب، واعتلى عرش ميسور (١٧٨٣م) حارب الإنجليز في ترافنكوره، ثم أغار هؤلاء على سرنجباتم عاصمة تيبو وهزموه، ثم هاجمه الإنجليز في ولايته ميسور فصمم على القتال، ولكن الإنجليز استولوا عنوة على سرنجباتم عام ١٧٩٩م .

- الموسوعة العربية الميسرة، الجزء الأول، دار نهضة لبنان، بيروت ١٩٨٠م، ص ٥٩٧ .

(٤) د عبدالمنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ط ٢ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨١، ص ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

(٥) ذكر المؤرخ الأمريكي ج. كريستوفر هيرولد J C Christopher Herold . في كتابه «بونابرت في مصر» أن مراد بك كان يكبر الجنرال ديزيه المولود عام ١٧٦٨م بعشرين عاماً، وقد اتصف مراد بك بالقوة . وكان مملوكاً لأحد مماليك علي بك الكبير، وتزوج السيدة نفيسة زوجة علي بك الكبير، وأنشأ ترسانة في القاهرة وجلب لها الصناعات من الخارج لصنع المدافع، وأنشأ أسطول المماليك النيلي، وكان يحب العلماء ويتأدب معهم، وكانت معلوماته العسكرية مقتصرة على مبدأين «اهجم فإذا كان الهروب ضرورة فاهرب» . لمزيد من التفاصيل حول شخصية مراد بك انظر، بونابرت في

- مصر، ترجمة فؤاد إندراوس، مراجعة د. محمد أحمد أنيس، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧، ص ص ٣١٥-٣١٧.
- (٦) قاعدة مركز شبراخيت، أحد مراكز مديرية البحيرة، محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، قسم ٢، ج ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠، ص ٣٠٧.
- (٧) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط ٢، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٧٤، ص ١٨١.
- (٨) من المدن القديمة، وهي قاعدة بلبس بمديرية الشرقية، محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، قسم ٢، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠، ص ص ١٠٠-١٠١.
- (٩) عبدالرحمي الرافعي: تاريخ الحركة القومية، المرجع السابق، ص ص ٨١-٨٢.
- (١٠) نقولا الترك (المعلم): ذكر تملك جمهور فرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية أو (الحملة الفرنسية على مصر والشام) حققه وقدم له ووضع حواشيه العميد الركن ياسين سويد، ط ١، دار القارئ للنشر، بيروت ١٩٩٠، ص ٤٩.
- (١١) عبدالرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج ٣، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة ١٩٨٦م، ص ٦١.
- (١٢) صلاح الدين البستاني: صحف بونابرت في مصر ١٧٩٨-١٨٠١، ج ١، ط ١، كورييه دي ليجيت رقم ١، عكا في ٢٠ يوليو ١٧٩٨م، دار العرب للبستاني، القاهرة ١٩٧١، ص ١.
- (١٣) نقولا الترك (المعلم): ذكر تملك جمهور فرنساوية، المصدر السابق، ص ص ٤٩-٥٠.
- (١٤) د. سيد مصطفى سالم: نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر،

نصوص مختارة من المخطوطة اليمنية «درنحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي ورجال دولته الميامين ١١٨٩-١٢٢٤ هـ / ١٧٧٥-١٨٠٩ م» تأليف لطف الله جحاف، مطبوعات مركز الدراسات اليمنية، القاهرة ١٩٧٥ م، ص ٥٩.

- (١٥) ج كرسوفر هيرولد: **بونابرت في مصر**، المصدر السابق، ص ١٨١.
- (١٦) المصدر السابق نفسه، ص ١٨١.
- (١٧) د محمد أنيس: **الدولة العثمانية والشرق العربي**، المرجع السابق، ص ١٩٢.
- (١٨) أ. ب كلوت بك: **لمحة عامة إلى مصر**. ترجمة محمد مسعود، ج ١، ط ٢، دار الموقف العربي، القاهرة ١٩٨١، ص ٥٠.
- (١٩) استدعى الرئيس أفندي (لقب وزير الخارجية في الدولة العثمانية) يوم ٣٠ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ٩ سبتمبر ١٧٩٨ م السفير الإسباني حيث قام بتسليمه البيان الخاص بإعلان الحرب رسمياً على فرنسا، حيث أنه كان تم التحفظ على السفير الفرنسي تبعاً للقاعدة المتبعة في ذلك في حالة قطع العلاقات الدبلوماسية، وقد قرئ هذا الإعلان (الفرمان) كل إمام ومؤذن في مساجد مصر، شفيق شوكت التوني: المكيون في مصر، دور عرب الحجاز في مقاومة الحملة الفرنسية، مجلة الدارة العدد ١، السنة ١٠، شوال ١٤٠٤ هـ / يونيو ١٩٨٤ م، ص ص ٥٦ - ٦٦.
- (٢٠) د عبدالعزيز محمد الشناوي: **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٠ م، ص ٩٣٨.
- (٢١) د سيد مصطفى سالم: **نصوص يمنية**، المصدر السابق، ويرى المحقق في الدراسة التي أعدها أن بريطانيا هي التي دفعت السلطان العثماني - بعد تحالفهما في أول ١٧٩٩ م - إلى الاتصال بالإمام لجذبه إلى صفوفها ضد العدو المشترك (فرنسا) لأنها كانت تدرك أهمية البحر الأحمر بالنسبة

- لنفوذها ومصالحها في الهند، نفسه ص ٦٧ .
- (٢٢) انظر نص فرمان السلطاني ونصوص منشورات العلماء، جرجى زيدان، **تاريخ مصر الحديث، من الفتح الإسلامي إلى الآن، مع فذلكة في تاريخ مصر القديم**، ج ٢، ط ٢، مطبعة الهلال القاهرة ١٩١١، ص ص ١١٦-١١٥ .
- (٢٣) جرجى زيدان: **تاريخ مصر الحديث**، المصدر السابق، ص ص ١١٢، ١١٨-١١٦ .
- (٢٤) عبدالرحمن الجبرتي: **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، المصدر السابق، ص ص ٥-٧ .
- (٢٥) من البلاد القديمة، وهي قاعدة لمديرية جرجا، وكانت حدودها تمتد في عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥ م من صليبة بندر أسيوط إلى وادي حلفا، وكان يتولى إدارتها موظف كبير يسمى متصرف أو والي جرجا. ولبعدها عن القاهرة فقد كان والي مصر يمنح حاكمها سلطة تكاد تكون مطلقة في إدارة الأمور المالية والإدارية وأعمال الضبط وغيرها من أعمال الأقاليم دون انتظار تصديق والي عليها لبعدها المسافة بين الجهتين، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٤، ص ١٥ .
- (٢٦) الكيس = ٥٠٠ قرش .
- (٢٧) موضع بلييا قرب أنطابلس، وهي من عمل باجه بينها وبين طبرق، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ٢، ط ١، دار الكتب العلمية لبنان، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٥١٥ .
- (٢٨) د محمد فؤاد شكري: **الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر**، مطبعة المعارف. القاهرة د. ت، ص ص ٩٨-٩٩ .
- (٢٩) Charles - Roux Francois: **L'Angleterre et l'Expedition Francaise en Egypt**, Le Caire, L'Inst. France D'Arch. Orient,

- (٣٠) محمد فؤاد شكرd: المرجع السابق، ص ٩٩.
- (٣١) نقولا الترك: المصدر السابق، ص ٥١.
- (٣٢) ج. كريستوفر هيرولد: المصدر السابق، ص ص ٢٠١-٢٠٢.
- (٣٣) نقولا الترك: المصدر السابق، ص ص ٤٠-٤١.
- (٣٤) أحمد حافظ عوض: فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت في مصر، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٢٥م، ص ١٦٨.
- (٣٥) ولد لوى ديزيه دفيجو في ١٧ أغسطس ١٧٦٨م - قبل مولد نابليون بونابرت بسنة في جبال أوفرني من أسرة تنتمي لطبقة صغار النبلاء - دخل مدرسة أفيا الحربية في الثامنة من عمره وحاول في الخامسة عشرة الالتحاق بالأكاديمية الحربية - فلما رفض طلبه حصل على وظيفة ملازم ثان في فرقة مشاة البرتنية، وبقي في الجيش أثناء الثورة الفرنسية، ثم شارك في حرب الراين، حيث رقي إلى رتبة الفريق في ٢٠ أغسطس ١٧٩٣م، واكتسب شهرة لم تفقها غير شهرة بونابرت. وقد انصرف ديزيه تماماً إلى الحرب والمجد، وكان يتمتع بذاكرة قوية إلى درجة شاذة، انظر ج. كريستوفر هيرولد: المصدر السابق، ص ص ٣٠٩ - ٣١٥.
- (٣٦) نقولا الترك: المصدر السابق، ص ٤٠.
- (٣٧) من البلاد القديمة بمركز بني مزار، مديرية المنيا، وهي من الأقسام الإدارية القديمة بالصعيد، محمد رمزي، نفسه. قسم ٢، ج ٣، ص ٢١١.
- (٣٨) عبدالرحمن الرافي: تاريخ الحركة القومية، ج ١، ص ٣٥١.
- (٣٩) نقولا الترك: المصدر السابق، ص ٥٦.
- (٤٠) أحمد حافظ عوض: فتح مصر الحديث، المصدر السابق، ص ١٧٥.
- (٤١) من البلاد القديمة بمركز فاقوس بمديرية الشرقية، وقد أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة ٦٤٤هـ بأرض السايح في أول الرمل بين مصر

- والشام لتكون منزلاً للعساكر عند ذهابهم إلى الشام وعند عودتهم منها،
 محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ١، ص ص ١١٢-١١٣ .
- (٤٢) نقولا الترك : المصدر السابق، ص ٤١ .
- (٤٣) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق، ج ١، ص ٣٥١ .
- (٤٤) د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي، المرجع السابق، ص ١٢٦ .
- (٤٥) د. محمد أنيس : المرجع السابق، ص ١٢٧ .
- (٤٦) انظر نص خطاب الشريف غالب إلى نابليون بونابرت رقم (٩) من النصوص المختارة من مخطوطة لطف الله جحاف : درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور على ورجال دولته الميامين، تحقيق ونشر د. سيد مصطفى سالم : المصدر السابق، ص ص ١٢٨-١٢٩ .
- (٤٧) انظر نص خطاب الشريف غالب إلى إمام اليمن المنصور علي رقم (١٤) ورد الإمام منصور علي على الشريف غالب، الذي يطمئنه فيه على موقفه من طلب الإنجليز نص رقم (١٥) من النصوص المختارة من مخطوطة لطف الله جحاف، المصدر السابق، ص ص ١٤٢ - ١٤٤، الملحق رقم (١) والملحق رقم (٢) .
- (٤٨) ج. كريستوفر هيرولد : المصدر السابق، ص ٣١٨ .
- (٤٩) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق، ص ص ٣٥١ - ٣٥٣ .
- (٥٠) عبدالرحمن الرافعي : نفسه ص ٣٥٣ .
- (٥١) د. جلال يحيى : مصر الحديثة ١٥١٧ - ١٨٠٥ م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ١٩٨٢ م، ص ٤٠٠ .
- (٥٢) من المدن المصرية القديمة، وهي قاعدة لإقليم الفيوم من العصر الفرعوني إلى اليوم، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٣، ص ٩٦ .
- (٥٣) أحد ممالك مراد بك وسمي بالألفي؛ لأن مراد بك أعطى الأغا الذي

أهداه إليه ألف أردب من الغلال، عينه مراد بك كاشفاً للشرقية بعد أن أعتقه ثم أصبح له ممالك وكشاف وترقى في المناصب، واتسم - في البداية بالتعدي والعسف والجور، شارك في قتال الفرنسيين وكانت له صلات مع الإنجليز ومات في نهاية عام ١٢٢١ هـ. عبدالرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣١ - ٥٩.

(٥٤) من القرى القديمة بمديرية الفيوم، وتقع بجوار قنطرة الحجز القائمة على بحريوسف في المضيق الصحراوي الذي يخترقه هذا البحر إلى إقليم الفيوم، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٣، ص ٩٧.

(٥٥) قاعدة مديرية أسسوط، وهي من المدن القديمة وتقع على الضفة الغربية للنيل وهي بين النهر والجبل. محمد رمزي، قسم ٢، ج ٤، ص ٢٥ - ٢٦.

(٥٦) عبدالرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ٣٥٥ - ٣٥٦.

(٥٧) كانت تابعة للفيوم، ثم أصبحت تابعة لمركز بني سويف، وتعرف باسم سدمنت الجبل، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٣، ص ١٦١.

(٥٨) ج. كريستوفر هيرولد: بونايرت في مصر، ص ٣٢١ - ٣٢٣.

(٥٩) أحمد حافظ عوض: فتح مصر الحديث، ص ١٧٩.

(٦٠) قاعدة مديرية بني سويف، وهي من المدن المصرية القديمة، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٢، ص ١٥٥.

(٦١) من البلاد القديمة، كانت قاعدة لمديرية جرجا، وهي الآن قاعدة لمحافظة سوهاج، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٤، ص ١٢٨.

(٦٢) من المدن القديمة: قاعدة مركز طهطا بمديرية جرجا، محمد رمزي، قسم ٢، ج ٤، ص ١٤٣.

(٦٣) عبدالرحمن الرافعي: تاريخ الحركة القومية، ج ١، ط ٤، ص ٣٦٥ - ٣٧٨.

- (٦٤) عن يمين رضوى لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر (وهي ميناء المدينة المنورة)، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٥١٣.
- (٦٥) بلد على ساحل البحر الأحمر وهي فرضة مكة، ياقوت الحموي، نفسه، ج ٢، ص ١٣٣.
- ٦٦- عبدالرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ص ٣٧٦-٣٧٧.
- ٦٧- ج. كريستوفر هيرولد: المصدر السابق، ص ٣٢٣.
- (٦٨) أحمد حافظ عوض: المصدر السابق، ص ص ١٧٩-١٨٠. وقد ذكر ج. كريستوفر هيرولد أن حسن بك أتى بأربع مئة مملوك من مماليكه وانضم إلى مراد بك بمماليكه البالغين ألفًا وخمس مئة، انظر كتابه، بونابرت في مصر، ص ٣٣٣.
- (٦٩) ج. كريستوفر هيرولد: المصدر السابق، ص ص ٣٢٤-٣٢٩.
- (٧٠) عبدالرحمن الجبرتي: المصدر السابق ص ٦١. ولما كان اسمه محمد الكيلاني الهاشمي فقد أكد أحد الباحثين أن محمد الكيلاني - الذي ذكره لطف الله جحاف باسم الجيلاني - من أهالي الجزيرة العربية وليس بمغربي كما يذكر الجبرتي، إذ من المعروف أن بني هاشم بطن قريش، كما يؤكد هذا خلع صفة الشريف عليه هو وابن أخته حسن (الشريف حسن) وأنه ليس من المعقول أن يتطوع الآلاف من أبناء الجزيرة العربية (الذين يزعمون أنهم كلهم من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم) بينما يتولى قيادتهم مجاور مغربي. انظر: شفيق شوكت العمروسي: المكيون في مصر، دور عرب الجزيرة في مقاومة الحملة الفرنسية، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة العاشرة، شوال ١٤٠٤هـ/ يونيو ١٩٨٤ م، ص ص ٥٨-٥٩.
- (٧١) من الثغور المصرية القدية، وكانت تتبع قسم البحر الأحمر، وتبعد القصير عن قنا مسافة ١٥٥ كيلومتراً على خط مستقيم، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٤، ص ٢٧١.

- (٧٢) عبدالرحمن الجبرتي : المصدر السابق، ص ٦١ .
- (٧٣) انظر النص الرابع من النصوص المختارة من مخطوطة " درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي ورجال دولته الميامين " . تأليف لطف الله جحاف ، تحقيق ونشر د سيد مصطفى سالم بعنوان نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية ، مصدر سابق ، ص ص ٩٦ - ١٠٤ .
- (٧٤) ذكر الدكتور سيد مصطفى سالم في تحقيقه لنصوص المخطوطة السابق الإشارة إليها أن باصلاح الحضرمي وغيره من المتبرعين الذين وردت أسمائهم في هذا النص من كبار تجار الحجاز ، انظر كتابه : نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية ، ص ٩٧ .
- (٧٥) واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة دون عزور ، ياقوت الحموي ، نفسه ، ج ٣ ، ص ١٢ .
- (٧٦) واد فيه قرى بين مكة والمدينة ، ياقوت الحموي ، نفسه ، ج ١ ، ص ٤٤٢ .
- (٧٧) ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الحجاز ، ياقوت الحموي ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٥ .
- (٧٨) وادي الصفراء : من ناحية المدينة وهو واد كثير النخل والزروع والخير في طريق الحجاج وبينه وبين بدر مرحلة . ياقوت الحموي ، نفسه ج ٣ ، ص ٤٦٨ .
- (٧٩) انظر النص رقم (٤) من مخطوطة : درر نحور الحور العين ، المصدر السابق ، ص ص ٩٦ - ١٠٠ .
- (٨٠) من القرى القديمة بمركز دمنهور بمديرية البحيرة ، محمد رمزي ، نفسه ، قسم ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .
- (٨١) د عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية ، المصدر السابق ، ص ٩٤٠ .
- (٨٢) قرية قديمة تتبع مركز شبراخيت بمديرية البحيرة ، محمد رمزي ، نفسه

قسم ٢، ج ٢، ص ٣٠٥.

- (٨٣) ج. كريستوفر هيرولد: **بونابرت في مصر**، ص ٣٣٤.
- (٨٤) وتطلق عليهم بعض المراجع (أهل ينبع) أو (أشراف ينبع) أو (أهل ينبع وجدة) كما أطلق عليهم عبدالرحمن الرافعي، ولما كانت هذه التعبيرات غير كافية للدلالة على كل المتطوعين الذين خرجوا من أنحاء أخرى غير مكة وينبع فقد أطلقنا عليهم "عرب الحجاز" رغم أنهم لم يكونوا جميعاً من عرب الحجاز، حيث انضم إليهم بعض العناصر الأخرى ومنهم حجاج بلاد المغرب الذين كانوا يمرون عبر مصر في طريقهم إلى الحجاز عند سفرهم وعند عودتهم أيضاً، ومما ستثبته الوقائع من وجود المغاربة وعدد قليل من التونسيين، الذين قدموا جميعاً من بلاد الحجاز في طريقهم إلى مصر بعد أداء فريضة الحج ثم شاركوا في قتال الفرنسيين تلبية لفريضة الجهاد.
- (٨٥) ج. كريستوفر هيرولد، المصدر السابق، ص ٣٣٤.
- (٨٦) من البلاد القديمة بمديرية قنا، كانت تتبع مركز فرشوط ثم انتقل ديوان المركز إلى نجع حمادي عام ١٨٨٦، وتقع على شاطئ غربي النيل وبسبب اتساع زمامها وكثرة عدد نجوعها وسكانها قسم زمامها في تاريخ عام ١٢٤٥ هـ إلى خمس نواح، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٤، ص ص ١٩٧ - ١٩٨.
- (٨٧) أحمد حافظ عوض: المصدر السابق، ص ١٨٠. وقد ذكر ج. كريستوفر هيرولد "أن قوات ديزيه بلغت ٤٠٠٠ منهم ٣٠٠٠ من المشاة وألف من الخيالة، انظر كتابه: **بونابرت في مصر**، ص ٣٣٦.
- (٨٨) هو حسن الكيلاني ابن أخت الشيخ محمد الكيلاني، وأطلقت بعض المراجع على قواته (أشراف ينبع).
- (٨٩) عبدالرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ٣٧٩. على حين ذكر أحمد

حافظ عوض أن قوة مراد بك بلغت من ثلاثة عشر ألفاً إلى أربعة عشر ألف مقاتل ولم يكن لديه مدافع، انظر كتابه، **فتح مصر الحديث**، المصدر السابق، ص ١٨٠.

(٩٠) Jonquiere, C.De: **L'expedition d'Egypt 1798 - 1801** Tome III Paris 1907 P. 526.

(٩١) عبدالرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ٣٧٩؛ ج كريستوفر هيرولد: المصدر السابق، ص ٣٣٨.

(٩٢) مفردها قرايينه Carabine، بندقية من طراز قديم واسعة الفوهة، كان يحملها المشاة والفرسان د. زين العابدين شمس الدين نجم: **موروث المصطلحات العسكرية التركية والفارسية في الجيوش العربية، مجلة الحرس الوطني**، العدد ١٥٩، السنة السادسة عشرة، جمادى الآخرة ١٤١٦هـ/ نوفمبر ١٩٩٥م، ص ٥٤.

(٩٣) أحمد حافظ عوض: المصدر السابق، ص ١٨١.

(٩٤) د. جلال يحيى: **مصر الحديثة**، المرجع السابق، ص ٤١٤.

(٩٥) La Jonquiere, C. De: Op Cit; P 530.

(٩٦) ذكر الأستاذ أحمد حافظ عوض أن خسائر المماليك بعد مطاردة الفرنسيين لهم ووصولهم إلى فرشوط كانت أكثر من مئتين وخمسين رجلاً أما الجرحى فلا يحصى لهم عدد بينما فقد الفرنسيون أربعة رجال، انظر: **فتح مصر الحديث**، ص ١٨٢.

(٩٧) ج. كريستوفر هيرولد: **بونابرت في مصر**، المصدر السابق، ص ٣٣٨.

(٩٨) La Jonquiere, C. De: Op Cit; 607.

(٩٩) من البلاد القديمة بمركز نجع حمادي كانت قاعدة لقسم فرشوط عند إنشائه عام ١٨٢٩م إلى أن نقل منها ديوان القسم إلى نجع حمادي عام ١٨٨٦م، محمد رمزي، نفسه م قسم ٢، ج ٢، ص ص ١٩٧-١٩٨.

(١٠٠) من المدن القديمة، قاعدة مركز إسنا بمديرية قنا، أنشئ بها قسم إسنا عام ١٨٢٦م وفي عام ١٨٩٠م عرف باسم مركز إسنا وفي عام ١٨٦٨م أنشئت مديرية إسنا لآخر مرة فأصبحت إسنا قاعدة لها وبعد إلغاء المديرية عام ١٨٨٨م نقل ديوان المديرية إلى مديرية أسوان وألحق مركز إسنا بمديرية قنا. محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٤، ص ص ١٥١ - ١٥٢. وقد ذكر عبدالرحمن الراجحي أن إسنا كانت من أهم مدن الصعيد تفد إليها القوافل القادمة من السودان ودارفور وسنار وتتخذها سوقاً لها ومحطة تنزل بها فاكستبت بذلك مكانة كبيرة، وكان بها أكبر سوق للجمال، وهي مركز صناعي لنسيج الصوف والقطن وصنع الملاءات وعصير الزيت وعمل الفخار، وكانت بسبب بعدها عن عاصمة مصر كالملاجئ للمماليك المغضوب عليهم من حكام القاهرة، وسكن بها وقتئذ حسن بك الجداوي وعثمان بك حسن وصالح بك خصوم مراد بك. وكان بأقصى المدينة حديقة جميلة لحسن بك الجداوي اتخذها الفرنسيون مقراً لاجتماعاتهم كما اتخذوا منزله مقراً لإقامتهم، انظر عبدالرحمن الراجحي: المرجع السابق، ص ٣٨٢.

(١٠١) عبدالرحمن الراجحي: نفسه، ص ٣٨٢.

(١٠٢) أحمد حافظ عوض: المصدر السابق، ص ١٨٢.

(١٠٣) قاعدة مركز إدفو بمديرية أسوان، وهي على البر الغربي للنيل، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٤، ص ٢١١.

(١٠٤) عبدالرحمن الراجحي: المرجع السابق، ص ٣٨٢.

(١٠٥) من المدن المصرية الأكثر قدماً - وهي قاعدة مديرية أسوان، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٤، ص ٢١٦.

(١٠٦) أحمد حافظ عوض: المصدر السابق، ص ١٨٣.

(١٠٧) عبدالرحمن الراجحي: المرجع السابق، ص ٣٨٥.

- (١٠٨) أحمد حافظ عوض : المصدر السابق ، ص ١٨٣ .
- (١٠٩) كان بليار يستخدم الجواسيس لمعرفة أحوال أعدائه من العرب والمماليك وتحركاتهم وعمل على منعهم من الحصول على الأغذية عن طريق إتلاف محصول القمح بالكامل ، وقام بتعويض الفلاحين ببعض قطع النقود ، انظر ج . كريستوفر هيرولد ، المصدر السابق ، ص ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .
- (١١٠) عبدالرحمن الرافي ، المرجع السابق ، ص ٣٨٢ .
- (١١١) La Jonquiere, C. De: Op Cit; P 53 .
- (١١٢) عبدالرحمن الرافي : نفسه ، ص ٣٨٣ .
- (١١٣) نفسه ، ص ص ٣٨٣ - ٣٨٤ .
- (١١٤) La Jonquiere. C. De: Op Cit; PP. 576 - 578 .
- (١١٥) أحمد حافظ عوض : المصدر السابق ، ص ١٨٤ .
- (١١٦) عبدالرحمن الرافي : المرجع السابق ، ص ص ٣٨٤ - ٣٨٥ .
- (١١٧) ج . كريستوفر هيرولد : المصدر السابق ، ص ٣٣٥ .
- (١١٨) المصدر السابق ، نفسه ، ص ٣٤٨ .
- (١١٩) أصلها من توابع دشنا بمديرية قنا ، محمد رمزي ، نفسه ، قسم ٢ ، ج ٤ ، ص ١٧٠ .
- (١٢٠) عبدالرحمن الرافي : المرجع السابق ، ص ٣٨٦ .
- (١٢١) المرجع السابق ، نفسه ، ص ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .
- (١٢٢) نفسه ، ص ص ٣٨٨ - ٣٩٠ .
- (١٢٣) د . جلال يحيى : مصر الحديثة ، المرجع السابق ، ص ٤١٦ .
- (١٢٤) أصلها من توابع ناحية طما مركز أبو تيج بمديرية أسيوط ثم فصلت عن طما في تاريخ ١٢٣٠هـ ، محمد رمزي ، نفسه ، قسم ٢ ج ٤ ، ص ٢٠ ، وقد ذكر عبدالرحمن الرافي أنها تقع على الشاطئ الشرقي للنيل جنوبي قنا بالقرب من قوص ، وتسمى (نجع البارود) انظر ، تاريخ الحركة القومية ، ج ١ ، ط ٤ ص ٣٩٢ .

(١٢٥) من البلاد القديمة، وهي قاعدة مركز قوص بمديرية قنا، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٤، ص ١٨٧.

(١٢٦) عبدالرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ص ٣٨٦ - ٣٩١.

(١٢٧) أنفرد ج. كريستوفر هيرولد وحده دون باقي المصادر والمراجع في تحديد تاريخ تلك الأحداث يوم ٣ أبريل ١٧٩٩ م. انظر كتابه: **بونايرت في مصر**، المصدر السابق، ص ٣٤٨.

(١٢٨) ذكر أحد الباحثين أن عدد قوات عرب الحجاز في هذه المعركة بلغ نحو ألفين من مشاة المكيين بقيادة الشريف حسن، انظر شفيق شوكت العمروسي، **المكيون في مصر**، المرجع السابق ص ٦٢.

(١٢٩) La Jonquiere, C. De: Op Cit; P 595.

(١٣٠) عبدالرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ٣٩٢؛ أحمد حافظ عوض، المصدر السابق، ص ص ١٨٤ - ١٨٥.

(١٣١) أحمد حافظ، المصدر السابق، ص ١٨٥.

(١٣٢) ذكر ج. كريستوفر هيرولد، أن الأهالي وعرب الحجاز اقتادوا الأحياء من الفرنسيين إلى الشاطئ وأمروا فرقة موسيقا نصف اللواء الحادي والستين بالعزف ثم قاموا بقتل الأسرى على أنغام مارشات الثورة الفرنسية، وكان أكثرهم من العميان أو الجرحى ثم لحقهم أعضاء الفرقة الموسيقية وهو قول يتضح منه المبالغة الشديدة، انظر كتابه: **بونايرت في مصر**، المصدر السابق، ص ٣٤٩.

(١٣٣) La Jonquiere, C. De: Op Cit; P 595,596.

(١٣٤) أحمد حافظ عوض: المصدر السابق، ص ١٨٥.

(١٣٥) من أهم المدن المصرية القديمة وتتبع مركز الأقصر بمديرية قنا، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٤، ص ١٦٠.

(١٣٦) ذكر ج. كريستوفر هيرولد (ص ٣٤٩) أن عددهم بلغ ٦٠٠٠ - ٧٠٠٠.

- شخص وهو رقم مبالغ فيه ، ولم نجد له ذكر في أي من المصادر المعاصرة
مثل عبدالرحمن الجبرتي أو لطف الله جحاف أو نقولا الترك ، والمرجع أن
أعدادهم جميعاً بلغت ٤٠٠٠ رجل وأنهم قدموا على دفتين .
(١٣٧) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٣٩٣ .
(١٣٨) من البلاد الأكثر قدماً بمركز قنا ، مديرية قنا ، محمد رمزي ، نفسه ، قسم ٢ ،
ج ٤ ، ص ١٧٧ .
(١٣٩) د . جلال يحيى : المرجع السابق ، ص ٤٣٢ .
(١٤٠) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .
(١٤١) La Jonquiere, C. De: Op Cit; P 597.
(١٤٢) من البلاد القديمة بمركز مديرية قنا ، محمد رمزي ، نفسه ، قسم ٢ ،
ص ١٧٤ .
(١٤٣) د . جلال يحيى : المرجع السابق ، ص ٤٣٣ .
(١٤٤) انظر النص الرابع من النصوص المختارة من مخطوطة لطف الله جحاف
" درر نحور العين بسيرة الإمام المنصور على ورجال دولته الميامين " نشر
وتحقيق د . سيد مصطفى سالم بعنوان : نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية ،
المصدر السابق ص ص ١٠٠ - ١٠١ ، انظر الملحق رقم (٣) .
(١٤٥) La Jonquiere, C. De: Op Cit; P 596.
(١٤٦) أحمد حافظ عوض : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .
(١٤٧) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .
(١٤٨) عبدالرحمن الرافعي ، المرجع السابق ، ص ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .
(١٤٩) enon Vivant: Voyages dans La Basse et La Haute-Egypte, Pen-
dant les Campagnes de Bonaparte Vol 1 Londers, Bagster, 1809
P 240.
(١٥٠) عبدالرحمن الرافعي : نفسه ، ص ٣٩٦ .

(١٥١) La Jonquiere, C. De: Op Cit; P 598.

(١٥٢) عبدالرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص ٣٩٦.

(١٥٣) المرجع السابق، نفسه، ص ص ٣٩٧-٣٩٨.

(١٥٤) إحدى بلاد مركز قوص بمديرية قنا، وكانت تتبع ناحية الحراجية، ثم فصلت عنها في تاريخ ١٢٤٥هـ، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٤، ص ١٩١.

(١٥٥) في منتصف مارس ١٧٩٩م، أنقسمت قوات المماليك، وحاولت كل فصيلة أن تدبر لنفسها ما تستطيع من أقوات، وقد اتجه مراد بك إلى الواحة الخارجة ومعه عثمان بك البرديسي وعثمان بك الطمبورجي ومحمد بك المنفوخ، وكان حسن بك الجداوي ومعه بعض الأمراء بقواتهم في قنا، وكذلك فعل محمد بك الألفي وكتيبته، وراح غيرهم من البكوات والكشاف يضربون في أرجاء الريف، وقد اتجه سليمان بك جنوباً حتى جاوز أسوان، أما عرب الحجاز وكانوا بين النيل والقصير في انتظار الإمدادات، انظر: ج. كريستوفر هيرولد: المصدر السابق، ص ٣٥٣.

(١٥٦) انظر النص الرابع من النصوص المختارة من مخطوطة لطف الله جحاف "در نهور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي ورجال دولته الميامين" نشر وتحقيق د. سيد مصطفى سالم بعنوان: نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية، ص ١٠١.

(١٥٧) انظر النص الرابع من النصوص المختارة من مخطوطة "در نهور الحور العين" مصدر سابق، ص ص ١٠٢-١٠٣.

(١٥٨) د. جلال يحيى: المرجع السابق، ص ٤٣٤.

(١٥٩) عبدالرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ص ٣٩٩-٤٠٠.

(١٦٠) المرجع السابق، نفسه، ص ٤٠٠.

(١٦١) La Jonquiere, C. De: Op Cit; PP 618-620.

- (١٦٢) عبدالرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص ٤٠٢ .
- (١٦٣) من البلاد القديمة بمركز البلينا بمديرية جرجا، وكانت في عام ١٨٢٩ قاعدة لقسم برديس ثم نقل الديوان والمصالح الأخرى إلى البلينا عام ١٨٨٦ ، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢ ج ٤ ص ص ٩٨-٩٩ .
- (١٦٤) أحمد حافظ عوض، المصدر السابق، ص ١٨٧ .
- (١٦٥) عبدالرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص ص ٤٠٢-٤٠٣ .
- (١٦٦) أحمد حافظ عوض، المصدر السابق، ص ١٨٧ .
- (١٦٧) د. جلال يحيي، المرجع السابق، ص ٤٣٤ .
- (١٦٨) عبدالرحمن الرافعي، نفسه ٤٠٣ .
- (١٦٩) انظر النص الرابع من النصوص المختارة من مخطوطة لطف الله جحاف "درر نهور الحور العين" المصدر السابق، ص ١٠٤ .
- (١٧٠) من القرى القديمة بمركز طهطا بمديرية جرجا، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢ ج ٤، ص ص ١٤٢-١٤٣ .
- (١٧١) عبدالرحمن الرافعي: المرجع السابق ص ص ٤٠٣-٤٠٤ / د. جلال يحيي، المرجع السابق، ص ٤٣٤ .
- (١٧٢) أحمد حافظ عوض: المصدر السابق، ص ١٨٧ .
- (١٧٣) ذكر لطف الله جحاف ما نصه: " وانقسم بها (واقعة جرجا) عقد نظام المتطوعة وذهب الناس أرسالاً لا أمير لهم، منهم الذهاب إلى مصر والذهاب إلى الشام والعائد إلى الحرمين " انظر: درر نهور العين، المصدر السابق، ص ١٠٤ .
- (١٧٤) ذكر الجبرتي بعد وفاة الشيخ محمد الكيلاني " تفرقت طائفته في البلاد حتى أنه حضر منهم جملة إلى مصر (القاهرة) " المصدر السابق، ص ٨٠ .
- (١٧٥) عبدالرحمن الرافعي: المرجع السابق، ص ٤٠٤ .

- (١٧٦) ذكر الأستاذ أحمد حافظ عوض بعد موقعة جهينة : (وقد هلك أعراب ينبع كلهم تقريباً)، المصدر السابق، ص ١٨٧ .
- (١٧٧) إحدى بلاد مركز منفلوط بمديرية أسيوط، وأصلها من توابع منفلوط، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٤، ص ٨٢ .
- (١٧٨) مديرية في غرب وسط السودان، وقامت فيها سلطنة درافورثم قامت حكومة السودان بالاستيلاء عليها عام ١٩١٦ م .
- (١٧٩) أحمد حافظ عوض : المصدر السابق، ص ١٨٨ .
- (١٨٠) عبدالرحمن الرافعي : المصدر السابق، ص ص ٤٠٤ - ٤٠٦ .
- (١٨١) من المدن المصرية القديمة، وهي قاعدة مديرية المنيا، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٣ ص ١٩٦ - ١٩٨ .
- (١٨٢) أحمد حافظ عوض، نفسه، ص ١٨٨ .
- (١٨٣) من القرى القديمة بمركز بني مزار مديرية المنيا، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٣، ص ٢٠٩ .
- (١٨٤) من القرى القديمة بمركز المنيا، محمد رمزي، نفسه، قسم ٢، ج ٣، ص ٢٠٢ .
- (١٨٥) عبدالرحمن الرافعي . المرجع السابق ص ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ؛ د جلال يحيى . المرجع السابق، ص ٤٣٥ .
- (١٨٦) عبدالرحمن الرافعي : نفسه، ص ٤١٠ .
- (١٨٧) عبدالرحمن الجبرتي : المصدر السابق، ص ٨٠ .
- (١٨٨) انظر النص رقم (٥) من النصوص المختارة من مخطوطة لطف الله جحاف "درر نحور العين بسيرة الإمام المنصور علي ورجال دولته الميامين" نشر وتحقيق د سيد مصطفى سالم بعنوان : نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر، المصدر السابق، ص ١٠٥ .
- (١٨٩) أحمد حافظ عوض : المصدر السابق، ص ١٨٨ .

- (١٩٠) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق، ص ص ٤١١ - ٤١٣ .
- (١٩١) أحمد حافظ عوض : نفسه ص ١٨٩ .
- (١٩٢) La Jonquiere, C. De: Op Cit; PP 649.
- (١٩٣) أحمد حافظ عوض : المصدر السابق، ص ١٨٩ .
- (١٩٤) د جلال يحيى : المرجع السابق، ص ٤٣٦ .
- (١٩٥) أحمد حافظ عوض : المصدر السابق، ص ١٨٩ .
- (١٩٦) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق، ص ٤١١ .
- (١٩٧) أمر ديزيه بليار بالصرامة والقسوة في معاملته مع الأهالي لفرض السيطرة وتحقيق الاستقرار والانتقام من القرى الثائرة ومشايخها، وكذلك الانتقام من القرى التي شاركت في معركة البارود النيلية، وفرض غرامة مالية كبيرة على أهاليها، انظر : La Jonquiere, C. De: Op Cit; PP 649-651.
- (١٩٨) ج كريستوفر هيرولد : المصدر السابق، ص ٣٥٦ .
- (١٩٩) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق، ص ١٨٩ .
- (٢٠٠) أحمد حافظ عوض، المصدر السابق، ص ١٨٩ .
- (٢٠١) La Jonquiere, C. De: Op Cit; PP 679.
- (٢٠٢) عبدالرحمن الرافعي : المرجع السابق، ص ص ٤١٥ - ٤١٦ .
- (٢٠٣) عبدالرحمن الرافعي : نفسه، ص ص، ٤١٥ - ٤١٦ .
- (٢٠٤) محمود الشرقاوي : مصر في القرن الثامن عشر، ج ٣، ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٧ م، ص ٧٦ .
- (٢٠٥) د. عبد العزيز الشناوي، الوحدة العربية، مرجع سابق، ص ٢٨ .

المصادر والمراجع

أولاً: الدراسات و المؤلفات .

أ - العربية :

- أ. ب كلوت بك : **لمحة عامة إلى مصر**، ترجمة محمد مسعود، ج ١ ، ط ٢ ، دار الموقف العربي ، القاهرة ١٩٨١ م.
- أحمد حافظ عوض : **فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت في مصر** ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٢٥ م.
- جرجي زيدان : **تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن مع فذلكة في تاريخ مصر القديم** ، ج ٢ ، ط ٢ ، مطبعة الهلال ، القاهرة ١٩١١ .
- ج . كريستوفر هيرولد : **بونابرت في مصر** ، ترجمة فؤاد إندراوس مراجعة د . محمد أحمد أنيس ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ م.
- جلال يحيي (دكتور) : **مصر الحديثة ١٥١٧-١٨٠٥** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ١٩٨٢ م.
- سيد مصطفى سالم (دكتور) : **نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر** ، نصوص مختارة من المخطوطة اليمنية " درر نحور العين بسيرة الإمام المنصور على ورجاله الميامين ١١٨٩-١٢٢٤هـ / ١٧٧٥-١٨٠٩ " تأليف لطف الله جحاف ، مطبوعات مركز الدراسات اليمنية ، القاهرة ١٩٧٥ م.
- صلاح الدين البستاني : **صحف بونابرت في مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١** ، ج ١ ، ط ١ ، كورييه دي ليجييت . دار العرب للبستاني . القاهرة ١٩٧١ م.
- عبدالرحمن الجبرتي : **عجائب الآثار في التراجم والأخبار** ، ج ٣ ، مطبعة الأنوار المحمدية ، القاهرة ١٩٨٦ م.
- عبدالرحمن الرافعي : **تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر** ،

- ج ١، ط ٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.
- عبدالعزيز محمد الشناوي (دكتور): الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليه، ج ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٠م
 - عبدالمنعم النمر (دكتور): تاريخ الإسلام في الهند، ط ٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨١م.
 - محمد أنيس (دكتور): الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤م، مكتبة سعيد رافت، القاهرة ١٩٧٧م
 - محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية: قسم ٢، ٤ أجزاء، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠م.
 - محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط ٢، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٧٤م.
 - محمد فؤاد شكري (دكتور): الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، مطبعة المعارف، القاهرة د. ت
 - نقولا الترك (المعلم): ذكر تملك جمهور فرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية أو (الحملة الفرنسية على مصر) حققه وقدم له ووضع حواشيه العميد الركن: ياسين سويد، ط ١، دار الفارابي للنشر، بيروت ١٩٨٠م
 - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥ أجزاء، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

ب- الأجنبية:

- CHARLES - ROUX ERANCOIS: L'angletterre et L'expdition Francaise en egypt - le Caire, L'inst. F' Arance. D' arch. Tome II. 1925.

- Denon Vivant: Voyages Aans La Basse et la Haute- Egypte, Pendant les Campagnes de Banaparte - Vol I, Londers, Bagster, 1809.

-La Jonquiere, C. De: **L'expedition d'egypt 1798- 1801**, Tome III Paris 1907.

ثانياً: الدوريات .

- زين العابدين شمس الدين نجم (دكتور): موروث المصطلحات العسكرية التركية والفارسية في الجيوش العربية، **مجلة الحرس الوطني**، العدد ١٥٩، السنة السادسة عشرة، جمادى الآخرة ١٤١٦هـ / نوفمبر ١٩٩٥م.
- شفيق شوكت العمروسي: المكيون في مصر، **مجلة الدارة**، العدد الأول، السنة العاشرة، شوال ١٤٠٤هـ / يونيو ١٨٨٤م.